الفصـل الثاني

تـاريـخ الاتصـال ونظريـاتـه

1- تمهيـد.

2- وسائل الاتصال.

2- 1 وسائل الاتصال التقليدية.

2- 2 وسائل الاتصال الحديثة.

2- 3 مقارنة بين أهم وسائل الاتصال.

2- 4 مراحل تطور تقنية أقمار الاتصالات والبث التلفزيوني.

2- 5 البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الاصطناعية.

2- 6 ظهور التلفزيون وتطوره في العالم.

3- تاريخ البحث في علم الاتصال و نظرياته.

3- 1 تاريخ البحث في علم الاتصال.

3- 2 النظريات الأساسية في الإعلام والاتصال.

obeikandl.com

1- تمهيـد

إن وسائل الاتصال وجدت بوجود هذا العالم ولكنها مرت بمراحل تطور عديدة أفرزت عدة أنواع متفاوتة في الكم و الكيف و النوع و المدى .

فقد كانت وسائل الاتصال في العصور القديمة طبولا و دخانا و نارا وخيلا ... هذا . بالإضافة إلى الحفر على الأحجار و الأشجار والألواح والأعمدة المنصوبة في المعابد أو الميادين العامة . ومن جهة ثانية كان التجار يحملون معهم في أسفارهم الأخبار كما كان المنادون ينشرونها و يعلنون أوامر الحكام . و يمكن الإضافة في الأخير إلى جميع هذه الوسائل المتقدمة وسيلة هامة هي وسيلة الاتصال الشخصي.

ومن الضروري لدراسة وسائل الاتصال أن نتصور الطريقة التي تطور بها الاتصال عبر السنين ، ويعد هذا من الأمور التي يصعب فيها تحديد متى وكيف أصبح علم الاتصال عنصرا هاما في حياة الناس ، ولكن يمكننا أن نجزم بـأن: " الأديان السماوية منذ العصور القديمة عملت على تدعيم أهمية الكلمة و مفعولها في دعواتها التوحيدية" .

ومن ثم فقد اعتمد أصحابها على الفصاحة و البلاغة في تقديم الحجج والقضايا لمدعويهم . ومن جهة أخرى فقد برز هذا التوجه بظهور التقاضي

عند الأنبياء و الرسل أو القضاة لإبلاغ الحجة و كسب الخصومة، وقد كثرت مثل هذه المرافعات في عهد الإغريق وفي أثينا بالذات.[1]

إن اكتشاف المذياع في العشرينات و التلفاز في أوائل الأربعينات أتاح تطبيقا أوسع لمفاهيم الاتصال. في الوقت نفسه كانت هذه الوسائل بمثابة دفعة قوية لتطوير وجهة نظر موسعة لطبيعة الاتصال ومهد الطريق لظهور مجالات جديدة للدراسة.

وقد ساهم بالإضافة إلى ما سبق ذكره، كل من الفلاسفة وعلماء الانثروبولوجيا و النفس والاجتماع و اللسانيات، حيث كتبوا عن طبيعة الاتصال و دوره في حياة الفرد و المجتمع.

2- وسائل الاتصال:

2- 1 وسائل الاتصال التقليدية:

وهي على العموم إما مقروءة أو مسموعة ومن أهمها: القصيدة الشعرية، الخطبة، المناظرة، المنادي البعثات ... وقد تم الاعتماد أساسا في تصنيفها على ما قدمه كل من عبد اللطيف حمزة (1978) ورؤوف شلبي (1982) وعلي جريشة (1980).

---

[1] - فضيل دليو –مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية –ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر –ط2- 1998- ص23.

2- 1- 1-الشعر:

كانت القصيدة الشعرية من أقدم وسائل الاتصال التي عرفها البشر. وأهم وسيلة استعملها العرب قديما و بلغو بها أعلى المراتب، لان أداة تعبيرها اللغة العربية التي تمتاز " بكثرة المترادفات ودقة التعبير و ثراء الأسلوب والمشتقات، بالإضافة إلى ما تحمله من رنين وجرس يجعلها أطوع للشعر وموسيقاه."[1]

لقد كانت في العصر الجاهلي، الأداة الأساسية التي يعبر بها عن رأي القبيلة ويشيد بأفعالها . وكان أصحابها يختارون أنسب الأماكن لإلقائها، كالحج و المواسم و الأسواق التي يجتمع فيها العرب دوريا بأعداد كبيرة. فلما جاء الإسلام كان لقصائد الشعراء المسلمين من أمثال (حسان بن ثابت) دورها في مناصرة الرسالة المحمدية. أما في عصر بن أمية فلقد ظهر ما يسمى بالشعر السياسي، حيث اعتمد معظم خلفاء بن أمية وفي كثير من قضاياهم السياسية على الخصوص على الشعراء السياسيين من أمثال جرير،الفرزدق والأخطل...

أما في العصر العباسي فقد ظهرت عصبية من نوع آخر تحت اسم (الشعوبية)، حيث تحمس الشعراء للأمم و الأجناس التي ينتمون إليها كما ظهرت في نفس الوقت عصبيات من نوع ثالث هي العصبيات المذهبية (سنة،

[1] -عبد القادر حاتم -الإعلام في القرآن الكريم-نادي باريس-لندن-1985-ص 59 .

شيعة ، معتزلة ، خوارج ...) وكان من شعرائها الكميت ، دعبل الخزاعي ، ديك الجن ، الطرماح ....

أما في عهد الخلافة الفاطمية و السلطنة الأيوبية و عهد المماليك – وهي العهود التي شهدت الحروب الصليبية – فكان للشعراء المكان الأول في الإعلام و الدعاية و الحرب النفسية ، و بقيت للقصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية و الإعلامية و الدعائية ليومنا هذا .

2- 1- 2-الخطبة :

إن الدور الذي لعبته الخطبة ببعديها الديني و السياسي في تاريخ العرب والمسلمين لا يقل أهمية في خطورته عن دور القصيدة الشعرية ما لم يكن أكثر منه مع مرور الزمن ، و أصبح للخطبة منذ ظهور الإسلام الشأن الكبير في نشر الدين وتعاليمه السمحة ، و تسير بنا عجلة التاريخ إلى العصر الحديث إلى عصر الثورات الشعبية التحررية التي قامت في معظم البلاد العربية، حيث كرس الدور الخطير للخطبة الدينية السياسية الذي لا يمكن الاستغناء عنه، كما أكدت فعالية الاتصال المباشر في العصر الحديث و الأهمية المستمرة لهذه الوسيلة في معظم الحالات وخاصة منها الديني و السياسي .

2- 1- 3-البعثات و الوفود :

هي وسيلة عرفت منذ القدم لنقل المعلومات و المعارف و التفاوض، و قد اشتهرت عندنا منذ ظهور الإسلام حيث اعتمد عليها خاتم الأنبياء و الرسل اعتمادا كبيرا لنشر الدعوة الإسلامية و اختير لها كبار الصحابة .

ولقد استعملت فيما بعد الدول الأوروبية البعثات العلمية لنقل المعارف الإسلامية ثم البعثات التبشيرية الممهدة للاستعمار الاستيطاني . تلتها فيما بعد حركة عكسية من الجنوب إلى الشمال عن طريق البعثات الطلابية الرسمية والخاصة للتكوين و تعميق المعارف بالجامعات و المراكز الغربية .

2- 1- 4-المناظرة :

إذا كانت المناظرة هي الأسلوب الذي يميز الفلسفة عن غيرها من أصناف المعرفة ، فإنها كذلك تميز الإنتاج الفكري الإسلامي بحيث طبق منهجها في مجالات المعرفة الإسلامية .

إن طريقة المناظرة الجدلية ، إن لم تكن تفيد اليقين النظري فهي تفيد اليقين العملي. و اليقين العملي غالبا ما يكون أقوى على التوجه و أقدر على التغيير من اليقين النظري، لأنها تتضمن التبليغ و التدليل و التوجيه و هي عناصر ضرورية لأية وسيلة اتصال فعالة .

إن المناظرة كانت تشمل التناظر بالخطابة المتبادلة و مقابلة الحجج والرد على الاستفسارات . وأحدث مثال على ذلك المناظرة التي تمت في أمريكا بين

الشيخ أحمد ديدات و القس النصراني جيمي سواجرت و التي تلتها مؤخرا مناظرة الشيخ أحمد ديدات و القس الفلسطيني الأصل شورش .أو مناظرة الشيخ يوسف القرضاوي والمفكر فؤاد زكريا حول الإسلام والعلمانية.

و كما هو معروف ، فإن أسلوب المناظرة بالغ الأثر في إيصال المعلومات والإقناع و خاصة بعدما أصبحت المناظرة تجري أمام حشد كبير من الناس وتدون وتصور لتعمم بواسطة وسائل أخرى على عدد كبير من الناس.

2- 2 وسائل الاتصال الحديثة

سنحاول استعراض وسائل الاتصال الحديثة مع عدم تكرار الوسائل التقليدية التي مازالت تستعمل وبفعالية كبيرة إلى يومنا هذا وفيما يلي أهمها :

2- 2- 1 -الصحافة :

وهي عادة ما تعرف بأنها مطبوع دوري ينشر الأخبار في مختلف المجالات ويشرحها و يعلق عليها و يكون ذلك عن طريق الصحف و المجلات العامة والخاصة .

أما فيما يخص الصحف و المجلات، من حيث قراءتها ، فقد أصبحت من أهم وسائل الاتصال التي لا يمكن الاستغناء عنها في المجتمعات الحديثة والتي تعتبر من مقومات الحياة الفكرية .

و الصحافة كوسيلة اتصال تقرأ لعدة أغراض ، منها :

- الإطلاع على ما فيها من أخبار بدافع الرغبة في الوقوف على أحوال محيطها الاجتماعي و الثقافـي و الاقتصادي و السياسي .
- معرفة القضايا التي يتحدث عنها الرأي العام أولا بأول .
- لمجرد التسلية و الإمتاع بما فيها من طرائف خبرية و نوادر أدبية و تسلية .

والصحافة تبقى منبرا مهما للرأي العام ومن أقدر الوسائل على بلورته والتأثير فيه مع ملاحظة أنها وليدة زمانها وتمتاز بسعة انتشارها و كثرته .

ومع مرور الزمن انقسمت الصحافة إلى نوعين ، نوع يعتمد أساسا على المقال و يدعى صحافة الرأي. و نوع آخر يعتمد على الخبر و يدعى صحافة الخبر. مع العلم أن صحافة الخبر غالبا ما تكون دورية و تتميز بالمقالات التحليلية العالية و المتخصصة .

2- 2- 2 –وكالات الأنباء :

ترجع بداية تاريخ وكالات الأنباء إلى نهاية عشرينيات القرن الثامن عشر حيث بدأ الفرنسي المجري الأصل –هافاس- بالتفكير في استغلال مجال جمع و نقل الأخبار الذي توقع له مستقبلا زاهرا . وانتهى عام 1835 إلى انشاء. أول وكالة أنباء سميت باسمه، وكان ذلك انطلاقا من مكتب لجمع الأنباء بباريس و مراسلين بمعظم العواصم الأوروبية. و في نفس السياق تطورت وكالات الأنباء بعد ذلك كما و كيفا حيث ظهرت العشرات من الوكالات الجهوية و المحلية .

مما سبق القول نستنتج أن وكالات الأنباء ثلاثة أصناف : [1]

أ – الوكالات العالمية : وتتميز بكثرة و تنوع الخدمات الإعلامية التي تقدمها ، بسعة توزيعها و بضخامة الوسائل البشرية ، المادية و التقنية التي تمتلكها .

ب – الوكالات الجهوية : و هي التي تتعدى فيها أنشطتها الإخبارية بلدها الأصلي إلى بعض الدول الأجنبية و هي أقل انتشارا .

جـ- الوكالات المحلية : و يتمثل نشاطها الأساسي في جمع و توزيع المعلومات في بلدها الأصلي ، وإن كانت تحاول أن تتجمع و تتعاون مع بعضها للتقليص من الهيمنة الإخبارية للوكالات الكبرى . ولكن الكثير منها يعمل على جمع الأخبار و توزيعها على الوكالات العالمية التي يرتبط بها .

د- الوكالات المتخصصة : هذا النوع من الوكالات لا يمكن مصادفتها إلا في الدول ذات النشاط الإعلامي الواسع والمستوى الإعلامي المتخصص الناضج والذي يأخذ بعين الاعتبار المصالح الأساسية للبلد الأصلي وذلك مهما كانت طبيعة نظامه السياسي .

2- 2- 3 – السينما :

تعتبر السينما فاتحة عالم الوسائل السمعية البصرية بكل أنواعها الدعائية التجارية و الإخبارية و الروائية وكذا الجريدة السينمائية ، بالإضافة إلى

[1] نبيل عارف الجردي – مقدمة في علم الاتصال – العين ، مكتبة الإمارات ط3- 1985- ص58 .

السينما المعرفية والعلمية التي أصبحت واسعة الانتشار و الاستهلاك لأنها تشمل عدة مجالات أهمها : المجال التعليمي (الصحة ، التكنولوجيا، الزراعة ، اللغات ....) و المجال الثقافي و المجال التسجيلي .

2- 2- 4 -الإذاعة المسموعة أو الصوتية :

و يقصد بالإذاعة المسموعة - الراديو – ما يبث عن طريق الأثير باستخدام موجات كهر ومغناطيسية بإمكانها اجتياز الحواجز الجغرافية والسياسية وربط مستمعيها برابط مشترك و سريع ومن ثم فقد شاركت مع وسائل الاتصال عامة و التلفزيون خاصة في تقريب الثقافات و تكوين الرأي العام العالمي و حسب"لونتشارسكي " فقد أثر البث الإذاعي تأثيرا كبيرا على مصير الثقافة العالمية وعلى نفسية الناس فعزز عواطفهم و عمقها ،و تشير الأبحاث النظرية والتطبيقية التي أجريت في مختلف البلدان حول تجربة البث الإذاعي بأن للإذاعة الصوتية تأثيرا نفسيا اجتماعيا كبيرا على مستمعيها ، و ذلك في مجالات مختلفة مثل السلوك الفـردي و الجماعي ، الآراء و التصورات، التعليم و المعرفة ، العواطف و الانفعالات ...الخ ".[1]

---

[1]- كوليانوسكي وآخرون – علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية- دار دمشق –سوريا- 1978- ص ص135،137.

2- 2- 5 – الأقمار الصناعية :

إنها في حقيقة الأمر هي ليست وسيلة اتصال عادية مثل باقي الوسائل ، بل تعتبر وسيلة لهذه الوسائل ومن أهمها . فالبرامج التلفزيونية و الإذاعية والمكالمات الهاتفية لم تبلغ ما بلغته من سرعة ووضوح و سعة انتشار إلا بفضل الأقمار الصناعية .

إن الوظيفة الأساسية للأقمار الصناعية هي استلام الشارة أو الموجات الصاعدة من المحطات الأرضية بالإضافة إلى استعمالات أخرى تتمثل في :[2]

- **التلفزيـــون** : يستعمل القمر الصناعي في نقل الأحداث الحية التي لها سمة دولية .
- **الاتصال الهاتفي**: لقد سهل القمر الصناعي الاستعمال الهاتفي بين الدول المشتركة و ذلك ابتداء من عام 1968 حيث أصبح الاتصال الهاتفي الفوري قليل التكلفة ، عديم الاضطرابات والتشويش .
- **الخدمة التجارية**: سهلت الأقمار الصناعية الخدمات لشركات الطيران الدولية و الملاحة البحرية ، و ذلك بمدها ببيانات حية عن الأرصاد الجوية وخرائطها و تسهيل عملية الحجز و غيرها .

---

[2] - راسم محمد الجمال –الاتصال والإعلام في الوطن العربي –بيروت ، لبنان –مركز دراسات الوحدة العربية - 1991 –ص 289 .

- **التنقيب عن الثروات** : تمكن الأقمار الصناعية من تحديد المواقع الجغرافية للثروات الموجودة في باطن الأرض أو في قعر البحار كما تمكننا من معرفة الأماكن الأكثر ملائمة لزراعة المحاصيل الزراعية .
- **الأهداف العسكرية** : يسهل القمر الصناعي عملية التجسس الفضائي بالتقاطه الصور و بثها فورا قبل وأثناء وبعد العمليات الحربية .

2- 2- 6 – التلفزيون :

كلمة التلفزيون كلمة مركبة من مقطعين(Tel) ومعناه "عن بعد" و(vision) ومعناه "الرؤية" وبهذا يكون معنى الكلمة هو "الرؤية عن بعد" ومقابل هذا يمكن أن نعرف نظام التلفزيون من الناحية العلمية بأنه :"طريقة إرسال واستقبال الصورة والصوت بأمانة من مكان إلى آخر بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية "[1] ثم بواسطة الأقمار الصناعية ومحطاتها الأرضية في حالة البث كبير المسافة ، ومنه فالتلفزيون وسيلة اتصال سمعية بصرية تعتمد أساسا على الصورة ، وهو ليست مجرد أداة لنقل الأخبار المصورة ، المسجلة أو المباشرة ، عبر الأقمار الصناعية بل أصبحت تتميز بالقدرة على الإقناع والتأثير و السيطرة " لقد أصبحت رمز السلطة في عصر الاتصال ... فالثورات و الانقلابات تقوم اليوم بالإستلاء على مقرات التلفزيون بدلا من

[1]- ن.ع.الجردي –مرجع سبق ذكره – ص 191 .

القصور الرئاسية ."[1] فلا توجد سلطة سياسية أو اقتصادية أو دينية لا تحلم بالسيطرة عليها.

2- 3- مقارنة بين أهم وسائل الاتصال :

إن وسيلة الاتصال هي ما تؤدى به الرسالة الإعلامية أو القناة التي تحمل الرموز التي تحتويها الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه .ففي أي عملية اتصال يختار المرسل وسيلة لنقل رسالته مع الإشارة إلى أن الوسيلة ليست هي الآلة أو الجهاز في حد ذاته فقط و لكنها تشخص في هيكل التواصل كله .

ووسائل الاتصال باعتبارها وسائط ينطبق عليها وصف – ماكلوهان – لوسائل الاتصال بأنها : " امتدادات للإنسان " و لكنها و باعتبارها الوسط فإنها تتفق أكثر مع العبارة الشهيرة لـ – ماكلوهان – " الوسيلة هي الرسالة "[2].

إن المقارنة بين مختلف وسائل الاتصال يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المستويات المختلفة لعملية الاتصال مثل الفهم ، التعلم ، الإقناع أو سعة الاستقبال .

إن الرأي الشائع في مجال المقارنة بين الوسائل ، و الذي يفترض تفوق الوسائل التي تؤثر في نفس الوقت على أكبر عدد ممكن من الحواس أصبح أمر غير مقبول وأكثر عرضة للانتقاد و بصفة عامة لا يمكن تفضيل أي وسيلة عن

[1] -ANTOIN CASANOVA - LA PENSEE - PARIS- N 286 – 1992 –P 81 .

[2] LEON . JOSE .LUIS PERSUASION DE LAS MASAS - DEUSTO ; MADRID -1989 – p 117 .

أخرى إلا بمعرفة طبيعة موضوع الرسالة ، الجمهور المقصود و الظروف والعوامل المختلفة المتعلقة بالموضوع الإعلامي المطلوب .

و سنحاول استعراض سلسلة من الدراسات الميدانية التي عالجت المقارنة بين بعض وسائل الاتصال : المطبوعة ، السمعية ، السمعية البصرية ، و التي بالرغم من اختلافها في تناولها لهذا الموضوع من حيث المنهجية و المتغيرات التي أخذتها بعين الاعتبار إلا أنها وصلت إلى نتائج متكاملة و يدعم بعضها البعض في معظم الأحيان

مبدئيا يبدو أن الوسائل المطبوعة بإمكانها أن تسهل فهم محتويات الرسائل أكثر من الوسائل السمعية البصرية و ذلك للسببين التاليين :

- إن رسائل الوسائل السمعية البصرية معقدة أكثر بسبب كثرة المنبهات البصرية و الشفوية المرافقة لها التي قد تشوش على لب الرسالة. و بالطبع فإن هذا التقدير يتعارض مع النظرية التي تقول بأن احتمالات الاتصال الفعال تزداد كلما ارتفع عدد الحواس المشاركة في عملية الاتصال .
- إن المادة الاتصالية للوسائل المطبوعة تتيح الفرصة للقارئ الفرصة لكي يعض نفسه أكثر من مرة على الرسالة ، كما تسمح له بالسيطرة على ظرف التعرض و تكييف وقت القراءة مع قدراته الخاصة و سرعة فهمه .

وعلى العكس من ذلك، فإن هناك عامل آخر قد يؤيد فكرة أن الرسائل السمعية البصرية أسهل للفهم من المطبوعة، ألا و هو كون إدراك الصور عملية أسهل من إدراك المفاهيم عبر الكلمات.

2- 3- 1- نجاح المطبوع في تحقيق فهم أحسن:

إن من أهم الدراسات المقارنة التي عالجت اختلاف قدرة الوسائل على تسهيل الفهم هي التي أنجزها - جاكوبي و آخرون – عام 1983 وكان الهدف الأساسي لهذه الدراسة هو تحديد ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة فيما يتعلق بفهم نفس الرسالة عندما تصدر عن إحدى الوسائل الثلاث ، وقد توصلت إلى عدة نتائج كان أهمها :

- فهم أحسن للرسائل المطبوعة و ذلك حتى في حالة تحديد الوقت المخصص للقراءة.
- عدم وجود فوارق في نسبة الفهم بين الوسائل السمعية و السمعية البصرية .

2- 3- 2- الجمهور أكثر اندماجا مع الرسائل المطبوعة :

في الوسائل المطبوعة ، يجب على القراء اختيار الرؤية ، وعلى العكس من ذلك على مشاهدي التلفزة اختيار عدم الرؤية ، و في هذا الإطار قارن - أبقيان و أونيل - بين مدى اندماج الفرد مع الإعلانات كل من المجلة والتلفزة معتمدين في ذلك على دراسة الارتباط بين وسيلة الاتصال

والإعلانات ، فوجدوا أن الارتباطات كبيرة فيما يتعلق بالوسيلتين على حد السواء و لكن هذا الارتباط كان أعلى منه في حالة المجلة .

2- 3- 3- السمعي البصري أفضل وسيلة لتذكر الرسائل و تعلمها :

أما فيما يتعلق بتذكر مضامين الرسائل و تعلمها ، فقد يختلف الأمر تبعا لظروف التعرض للرسائل ،فنجد الوسائل المطبوعة تتفوق على السمعية البصرية في الوصول إلى تعلم المادة الاتصالية .

2- 3- 4- تفاوت وسائل الاتصال في الإقناع :

أكدت معظم الدراسات أن التأثر الشخصي (الاتصال المباشر) أكثر إقناعا على العموم من أية وسيلة من وسائل الاتصال . بالإضافة أن الفاعلية الإقناعية للوسائل تتغير تبعا للظروف .

و فيما يلي استنتاجات عامة لأهم ما يمكن أن نقوله في مجال المقارنة بين وسائل الاتصال المطبوعة ، السمعية و السمعية البصرية.

- بالرغم من كون الوسائل الاتصال المطبوعة من أقدم وسائل الاتصال الحديثة فإنها تعتبر أقل سرعة من الوسائل السمعية و السمعية البصرية في تقديم الأخبار .

- لا تستطيع الوسائل السمعية والسمعية البصرية من إن تحتفظ بالمعلومات بالشكل الذي تقوم به وسائل الاتصال المطبوعة .
- تسمح وسائل الإتصال المطبوعة بتكرار العرض أكثر من مرة .
- تعتبر الوسائل السمعية البصرية مجالا مفضلا للشعور و العاطفة والغرائز ، بينما يلاحظ في وسائل الاتصال المطبوعة تأثير أبلغ للحجج و البراهين و مخاطبة العقل على تغيير الاتجاهات .
- إن التأثير السريع تتفوق فيه الوسائل السمعية البصرية ، و لكنه يتلاشى بسهولة أكبر مع مرور الوقت ، بينما تتفوق وسائل الاتصال المطبوعة في غرس الأفكار و المعتقدات بعملها في العمق و ذلك بالرغم من ضعف تغطيتها مقارنة بالوسائل السمعية البصرية .

و كاستنتاج عام نؤكد أنه لا يمكن تفضيل وسيلة اتصال على غيرها من الوسائل إلا بعد معرفة النقاط التالية :

- طبيعة الرسالة الاتصالية .
- المستقبل لتلك الرسالة .
- المرسل وما يتعلق به من عوامل تتعلق بموضوع الاتصال .

بالإضافة إلى أن العلاقة بين مختلف وسائل الاتصال هي أساسا علاقة تكامل لا تنافس .

obeikandl.com

2- 4- مراحل تطور تقنية أقمار الاتصالات والبث التلفزيوني:

عندما تظهر أي تقنية رئيسية جديدة مثل السيارة أو التلفزيون أو الحاسب الإلكتروني أو الأقمار الصناعية، فإنها تمر بثلاث مراحل[1].

2- 4- 1 - المرحلة الفنية:

هي المرحلة التي تم فيها تثبيت الأسس العلمية والفنية لهذه التقنية، والتثبت من فرضياتها وإمكانياتها، وحل المشكلات التقنية التي تواجهها.

يرجع استخدام الأقمار الصناعية في الاتصالات والبث الإذاعي والتلفزيوني إلى العالم البريطاني آرثر كلارك الذي نشر في عام 1945 مقالا أشار فيه إلى إمكانية إطلاق قمر صناعي في مدار محدد سُمِيَّ فيما بعد بـ مدار كلارك. ولم تتحقق التقنية التي اقترحها كلارك بإرسال قمر إلى مدار مرتفع "متزامن" (Synchronous)، حيث تكون حركته مواكبة لحركة الأرض وبسرعتها نفسها، بحيث يبدو وكأنه معلق فوق منطقة معينة، إلا في عام 1963. عندما أطلقت الولايات المتحدة سلسلة أقمار (Syncom)، واستخدام القمر (2 Syncom) لاختيار تقنيات الاتصال عبر الأقمار الصناعية في المدار الثابت، حيث أن هذه التقنية نقلت عن طريق القمر الثالث على الهواء أحداث دورة طوكيو الأولمبية في عام 1964.

---

[1] - محمد بهي الدين عرجون : الفضاء الخارجي ، استخداماته السلمية ، عالم المعرفة رقم 214 أكتوبر 1996 الكويت ، ص ص 321.

وفي الإتحاد السوفيتي كان البحث جاريا في الاتجاه نفسه، ففي عام 1965 أطلق الإتحاد السوفيتي أول قمر لأغراض الاتصال، وهو القمر مولنيا - 1، وبذلك أصبح الاتصال عن طريق الأقمار الصناعية حقيقة واقعة.

2- 4- 2 - المرحلة التجارية:

هي المرحلة التي اتضحت فيها إمكانيات هذه التقنية عمليا، ومن ثم ظهر مستثمرون وشركات يرغبون في تطويرها والإنفاق عليها ؛ حيث أنشأت الولايات المتحدة في عام 1962 هيئة متخصصة لأقمار الاتصالات هي: **Communications Satellites Corporation** "كومسات"، بهدف الاشتراك في إنشاء نظام عالمي للاتصالات بتعاون دولي، وولد هذا النظام- وهو نظام إنتلسات- في عام 1964 عندما وقّعت إحدى عشر دولة على اتفاقية لإنشاء ما سمي باللجنة المؤقتة لأقمار الاتصالات **Interim Communications Satellites Committee**.

كما أن إنتلسات –المنظمة الدولية للاتصالات الفضائية- تمثل نموذجا فريدا في التعاون الدولي، لاستخدام التكنولوجيا المتقدمة لصالح الإنسان. وفي عام 1971، وبعد عدة مؤتمرات دولية، أُنشِئت المنظمة الدولية للاتصالات الفضائي (إنتلسات) **(International Telecommunications Satellite Organization)**. وبدأت العمل كمنظمة دولية في عام 1973، وكان أول قمر تابع لمنظمة إنتلسات هو القمر الصناعي **Intelsat-1**، الذي

عرف باسم "الطائر المكبر **Early Bird** "، والذي أطلقته " ناسا " في عام 1965، وكان يعمل فوق المحيط الأطلنطي، وتمت تغطية المحيط الهادي في 1967 بوساطة القمر **Intelsat2**، أما المحيط الهندي فقد تمت تغطيته بالقمر **Intelsat3**. في يوليو1969 أصبح إنتلسات نظاما عالميا بالفعل.

لم يقتصر دور "إنتلسات " على الاتصالات الدولية والبث التلفزيوني عبر القارات والمحيطات، بل إنها تلعب دورا مهما في تسهيل الاتصالات الداخلية في عدد من الدول، خاصة تلك التي تفرض طبيعتها صعوبة خاصة في الاتصال بالطرق التقليدية.

بالإضافة إلى إنتلسات، هناك المنظمة الدولية للاتصالات البحرية " إنمارسات "، حيث إنه إذا كانت الاتصالات الفضائية عن طريق الأقمار تؤدي إلى تسهيل وتحسين خدمة الاتصالات وتوسيع نطاقها على الأرض، فإنها بالنسبة للسفن، والناقلات، ومنصات البترول البحرية، تمثل ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. وقد تم استكمال الجيل الأول من شبكة "أنمارسات " في عام 1985، باستخدام الأقمار الأوروبية **Marecs A , B** لتغطي المحيطين الأطلنطي والهادي، وباستخدام شبكة إنتلسات لتغطي الاتصالات البحرية فوق المحيط الهندي. وفي عام 1987 بلغ عدد الدول الأعضاء 48 دولة، وبلغ عدد السفن والمنصات المستفيدة من خدمات " إنمارسات " أكثر من خمسة آلاف من إجمالي السفن والناقلات، وكان أهم تطور في خدماتها هو

امتدادها في عام 1990 إلى الطيران المدني، حيث أصبحت تمد الطائرات في الجو بخدمات التليفون والفاكس وغيرها.

مع تقدم الأقمار الصناعية وتطوير قدرات الإطلاق لدى عدد من الدول، ظهرت الحاجة إلى شبكات اتصال إقليمية مستقلة عن "إنتلسات" منها :

- **إنترسبوتنيك:** وقعت في عام 1968 تسع دول اشتراكية، مشروع اتفاق مبدئي لإقامة منظمة تُنظم أقمار الاتصالات الدولية "إنترسبوتنيك"، بهدف توفير الاتصالات وخدمات البرق والتلفون، وتبادل البرامج الإذاعية والتلفزيونية بين أعضائها. وفي عام 1971 تم توقيع الاتفاق النهائي، وأودع لدى الأمم المتحدة، وبلغ عدد الدول المنضمة إلى المنظمة 14 دولة في نهاية الثمانينيات.

وفي عام 1970 تم تعاون بين فرنسا وألماني لتطوير شبكة أروبية للاتصالات والبث التلفزيوني، أطلق عليها اسم " سيمفوني **Symphonie** ". وقد بدأ المشروع بإطلاق قمرين على المدار المتزامن مع الأرض (المدار الثابت)، حيث إنهما يغطيان إفريقيا وجزءا من أمريكا الجنوبية والساحل الشرقي لأمريكا الشمالية.

- **يوتلسات:** أنشئت في عام 1977 المنظمة الأوروبية لأقمار الاتصالات **EUTELSAT**، والتي ضمت ستا وعشرين دولة (جميع دول أوروبا الغربية بالإضافة إلى يوغسلافيا).

كما أن المرحلة التجارية تطورت في عام 1983 عندما أطلق رائد أوائل أقمار الجيل الأول "يوتلسات - 1 ف- 1"، واستكملت الشبكة بإطلاق القمر الخامس " يوتلسات - 1 ف- 5 " في جوان 1988، وتشمل منظومة " "يوتلسات" حاليا سبعة أقمار منها ثلاثة أقمار من الجيل الأول وأربعة من الجيل الثاني.

- **عربسات**: تكونت المنظمة عام 1976 لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للاتصالات الفضائية بين أعضائها، وتضم هذه المنظمة واحدا وعشرين عضوا يساهمون في ميزانياتها. ويشمل مشروع "عربسات" جيلين من الأقمار ؛ الجيل الأول وهو" عربسات - 1 " ويتكون من أربعة أقمار، وقد أطلق القمر الأول" عربسات - 1 A " في 08 فيفري 1985 على متن القاذف الأوروبي " أريان- 4 "، وأطلق القمر الثاني "عربسات 1 B " في 18 جوان 1985 إلى المدار، وفي 27 فيفري 1992، وقبل انتهاء العمل التشغيلي للأقمار العاملة، تم إطلاق القمر الثالث من الجيل الأول " عربسات – 1 C " من قاعدة "كورو".

- **أقمار الاتصالات الدولية الأخرى**: ومن المفيد لكي نستطيع أن نتصور مدى انتشار أقمار الاتصالات والبث التلفزيوني في العالم، أن نقدم الإحصائية الآتية التي توضح عدد أقمار الاتصالات المدنية العاملة التابعة لكل

دولـة أو مجموعـة إقليميـة، الموجـودة في المـدار الثابـت وحـده في أول جـانفي 1994.

2- 4- 3 - المرحلة الاجتماعية والثقافية:

هي المرحلة التي اتسع فيها استخدام التقنية الجديدة في المجتمع، بحيث أصبح هذا الاستخدام لا يقتصر على نخبة متميزة، بل شمل طبقات المجتمع جميعها، وبالتالي أصبح تأثير هذه التقنيات الجديدة أمرا واقعا لا مفر منه.

تتمثل التأثيرات الثقافية والاجتماعية في ارتباط استخدام الأقمار الصناعية في الاتصالات، بالمفاهيم السائدة حديثا عن ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، حيث يمكن القول إن هذه الثورة قد حولت فكرة جعل العالم " قرية واحدة " إلى حقيقة واقعة. وهناك دراسات متخصصة عديدة في هذا المجال، ومازال الباب مفتوحا لكثير من الدراسة، حيث مازالت التأثيرات الثقافية والاجتماعية لهذا الوافد الجديد في مرحلة ديناميكية.

2- 5 - البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية:

كان نتيجة التطورات والجهود المتتالية والمستمرة في مجال تكنولوجيا الاتصال، أن تخطت وسائل الاتصال العقبات والحواجز التي كانت أمامها، وجاء هذا نتيجة لغزو الإنسان للفضاء الخارجي؛ حيث أطلق أول قمر صناعي من الأرض سنة 1957، وهو تابع للاتحاد السوفيتي – Spoutnik – ثم تلاها القمر الصناعي- Telestar- سنة 1962.

ففيما مضى كانت الحواجز الجغرافية والطبيعية تشكل عائقا أمام انتشار البث التلفزيوني التقليدي في مختلف أنحاء العالم، وكان أيضا من الميسور جدا منع مواد الاتصال المطبوعة من دخول أي دولة ما. لكن بمجيء عصر الفضاء تم التغلب على الحواجز والعقبات، وأصبحت مادة الاتصال الإذاعية تستطيع اختراق كل الحدود والحواجز الجغرافية والوصول إلى أبعد الآماد.

وبالتالي كان لغزو الفضاء الخارجي الفضل في اختزال المسافات والأزمنة في آن واحد، وتوصل الإنسان إلى ما يسمى بالإرسال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية، أي ذلك الإرسال الذي يرد بصفة آنية من محطة الإرسال مباشرة إلى جهاز الإرسال الإذاعي الذي لا يتقيد بحدود المكان والزمان. أي إن الأقمار الصناعية تعتبر كمحطات فضائية تتلقى الإشارات من الأرض وتعيد بثها إلى مناطق متباعدة على الكرة الأرضية في لحظات وفي آن واحد.

وعلى الرغم من أن الاتصالات الفضائية تعد ثورة بكل المعايير في عالم الاتصال، إلا أن أهميتها الحالية تكمن في الاستخدامات المتنوعة والحديثة لهذه الاتصالات، وفي تشغيل وسائل الإعلام المختلفة؛ فقد تزايد اعتماد وسائل الإعلام على الاتصالات الفضائية بحيث أصبح الفضاء الخارجي شديد الازدحام بالأقمار الصناعية. ففي عام 1984 كان عدد

الأقمار الصناعية التابعة للولايات المتحدة وكندا وحدهما 24 قمرا صناعيا. وحتى عام 1986 كانت لجنة الاتصالات قد رخصت بإطلاق عشرين قمرا صناعيا ؛ وقد أدى هذا الازدحام في الفضاء الخارجي إلى التفكير في خفض المسافات بين الأقمار الصناعية من 1838 ميلا إلى النصف تقريبا، حتى يتمكن الفضاء الخارجي أن يستوعب المزيد من الأقمار.

وهنا تتبلور لنا أهمية استخدام الأقمار الصناعية، كوسائل اتصال للإسهام في جهود وتعزيز خطط الإعلام والتنمية، والإفادة مما توفره من مزايا واسعة النطاق في عمليات الاتصال ومن بينها:

- تغطية القطر والإقليم بالإرسال التلفزيوني وتحقيق الربط الداخلي بين الشبكات القائمة.
- سرعة الاتصال وغزارة قنواته لتبادل المعلومات والبرامج الحية بين المناطق الداخلية ومع الخارج أيضا.
- إمكانية التبادل الثقافي والفني وفي مجال العلوم التكنولوجيا بين مختلف بقاع العالم، وذلك عن طريق البرامج المنبثة إما مباشرة إما مسجلة.

ولقد توصلت وسائل الاتصال المرئية المرتبطة بالمحطات الفضائية، إلى دفع المشاهدين في كل أنحاء العالم لمتابعة أهم أحداث العالم مباشرة ؛ فالعالم شاهَدَ على شاشة التلفزيون من كل القارات صور هدم جدار برلين في اللحظة التي تم فيها الحدث عام 1989، كذلك رأى الرأي العام صورة هذا الطالب

الصيني الذي وقف في وجه دبابة في ساحة (تيان آن مين) في بكين التي شهدت مجزرة الطلاب الثائرين المطالبين بالحرية والتغيير في بلاد (ماو تسي تونغ)، كما عايش الرأي العام في كل أنحاء الكرة الأرضية سير المعارك في حرب الخليج والقصف الجوي لبغداد ،وفي نفس الوقت رأى العالم صور سقوط صواريخ سكود العراقية على تل أبيب وتصدي صواريخ الباتريوت لها.

والجدير بالذكر هنا فيما يخص عملية البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية، إنها فكرة حديثة، فبرغم أن الانطلاقة كانت في منتصف السبعينيات فقط وبالتحديد في سنة 1976 بالقارة الأوروبية، إلا أن التطور السريع الذي شهدته الأقمار الصناعية للاتصال في السنوات الأخيرة، أدى إلى ظهور عدد هائل من القنوات الفضائية، ولا تزال في تزايد مستمر يوما بعد يوم، حيث فاق هذا التطور كل التصورات، ولم يكن المختصون في الثمانينيات يتوقعون أن عملية البث بواسطة الأقمار الصناعية ستتطور بهذا الشكل السريع ؛ فلا يكاد يمر يوم إلا وتشهد فيه ميلاد قنوات فضائية جديدة، أو إعلان في الجرائد عن الشروع في البث عبر الأقمار الصناعية وتحديد كيفية التقاط برامج القناة ومشاهدة برامجها.

2- 5- 1- التلفزيونات عبر الأقمار الصناعية في شمال إفريقيا:[1]

يشكل الحوض الغربي للبحر المتوسط منطقة تلاقي بين مجموعة ثقافات: العالم العربي، الإسلامي ثم العالم الفرنكفوني، والعالم الإسباني، وأخيرا العالم الإيطالي. وكل من مكونات هذا المناخ يمثل واجهة لعالم يمتد على مساحات شاسعة عبر القارات، بمعنى أن العلاقات الثقافية المتواجدة في هذه المنطقة لها امتدادات على المستوى العالمي، وأن هذه المنطقة تمثل عقدة مركزية للعلاقات بين الحضارات العالمية.

ففي شمال إفريقيا يسهم التلفزيون في نشر الثقافة الجديدة، عبر بث الأفلام الفرنسية، الإيطالية، الأنجلو- ساكسونية أو الشرق أوسطية، في عملية تبادل غير متعادلة.

إن شمال إفريقيا يستهلك بشكل موسع ما تقدمه التلفزيونات الأجنبية، التي أصبحت تشكل بحق ظاهرة اجتماعية؛ ففي الجزائر تُبيِّن الدراسات بأن هناك نوعين من الجمهور المستقبل للبرامج الأجنبية، بناء على الأثر الذي تحدثه هذه البرامج، هما:

- عدد كبير من الجمهور يعتبر البارابول عاملا إيجابيا، يحمل عناصر ثقافية إيجابية يمنح إعلاما غنيا متنوعا، وهو كذلك وسيلة تربوية وتثقيفية.

[1] -Augusto Perelli et Abdelkader Sid Ahmed –Savoir faire locaux nouvelles technologie de communication et devloppement ed- Publisud.UNESCO 1996 PP 87-88

- أما الفئة الثانية فهم خصوم البارابول، بحيث يعتقدون بأنه وسيلة تفسد الأخلاق، وهو أيضا وسيلة لتحطيم البناء الاجتماعي، ويؤدي إلى الاغتراب الثقافي.

إن البارابول في الحقيقة يشكل مجالا للصراع في الميدان السياسي والتجاري، والحضاري أيضا، خاصة ونحن ندخل عصر العولمة، حيث تهيمن الثقافات الغربية من خلال وسائل الاتصال والعلاقات الدولية. فالبارابول يمنح للعائلات المغاربية الصوت والصورة المباشرة لمجريات الأحداث والوقائع العالمية في مختلف المجالات مما ينعكس مباشرة على تعديل وتقبل سلوكاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، حيث لوحظ بأنه منذ دخول البارابول تدفقت منتوجات جديدة إلى أسواق هذه البلدان، كما أن التأثير في السلوك والذهنيات، لا يمكن إنكاره في ظل غياب دراسات جدية حول هذه الظاهرة. وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى الإسهام في توضيح بعض جوانبه من خلال التركيز على الأثر الذي يحدثه التلفزيون ..... على فئة معينة في المجتمع .....

وأمام هذه الوضعية التي يعتقد المجددون بأنها فرصة من أجل تطوير الذهنيات نحو نموذج عالمي، يعتقد المحافظون بأنها غزو ثقافي لم يشهد التاريخ مثيلا له، وأمام هذه الوضعية تطرح أسئلة أساسية حول الإستراتيجيات

الثقافية البديلة لبلدان شمال إفريقيا عموما والجزائر بالخصوص ونحن في مطلع القرن الواحد والعشرين؟

- هل المطلوب هو الرفع من المستوى الثقافي للتلفزيونات الوطنية، من أجل جعلها أكثر تنافسية مع تلفزيونات العالم؟ إن ذلك يتطلب استثمارات كبيرة وانفتاحا ديمقراطيا حقيقيا.

- هل المطلوب هو السماح بالتعددية في ميدان التلفزيون، والسماح للقطاع الخاص بالاستثمار في هذا المجال ؟

- هل الحل يكمن في فتح قنوات جديدة بنفس الأساليب والطرائق التي تسير بها سابقاتها؟

2- 5- 2- البث التلفزيوني في الجزائر:

من محطات الإرسال الأرضية إلى الاستقبال الفضائي

2- 5- 2- 1- لمحة تاريخية عن التلفزيون الجزائري:[1]

ينقسم مسار نشأة وتطور التلفزة الجزائرية إلى مرحلتين :

أولا: - مرحلة ما قبل الاستقلال:

كانت الجزائر في هذه الفترة تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وكان ظهور التلفزيون في 24 ديسمبر 1956، بشكل ضعيف جدا، لها محطة إرسال توجد برأس تمنفوست (ماتيفو) على بعد 20 كلم من مدينة الجزائر، ولم

[1]- زهير احدادن – تاريخ الإذاعة والتلفزة- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 84 ص.ص 107- 111.

تقصر المشاهدة على التلفزة إلا سكان مدينة الجزائر العاصمة وضواحيها، حيث كانت تبث 31 ساعة في الأسبوع باللغتين العربية والفرنسية لنفس الصورة، وكان المشاهد يختار اللغة التي يريدها بواسطة جهاز يوضع داخل كل جهاز استقبال.

وأثناء هذه الفترة كان التلفزيون محتكرا من طرف الاستعمار، الذي اتخذه وسيلة لتثبيت أقدامه، حيث اعتمدت السلطات الفرنسية على إعداد وإخراج برامج وحصص متلفزة موجهة بغرض اكتساب المصداقية الشرعية عند المجتمع الجزائري. ومن بين هذه البرامج كانت هناك حصص دينية تتحدث عن تعاليم دينية، وتعتمد على تفسير بعض الآيات والأحاديث الدينية في الاتجاه الذي يخدم السلطة الفرنسية؛ وبالتالي فدخول التلفزيون للجزائر كان في البداية لأهداف سطرها المستعمر، وقد حُرم الجزائريون من ممارسة العمل التلفزيوني لأنهم- وحسب رأي المستعمر- لا يهمهم سوى أمور الفلاحة. لكن الحقيقة هي وعي المستعمر بخطورة هذه الوسيلة، والأهمية البالغة التي تلعبها، وبالتالي شددت عليها رقابة خاصة وصارمة.

ثانيا: - <u>مرحلة ما بعد الاستقلال:</u>

و من البديهي بعد حيازة الجزائر على استقلالها، أن تتغير أوضاع التلفزيون، "ففي 17 أوت 1962 أعلنت الهيئة التنفيذية المؤقتة بأنه تم الاتفاق مع المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، بتكليف شخصية

جزائريـة بالإشـراف علـى الإذاعـة والتلفـزة إلى أن يـتم تـشكيل الحكومـة الجزائرية، وبعـد ذلـك قامـت الحكومـة المؤقتـة بتعيين شخـصية أخـرى رئيـسا لتحريـر الـبرامج المذاعـة بـدلا مـن الفرنـسيين، الـذين كـانوا يقومـون بـنفس العمـل، كمـا قامـت القـوات الجزائريـة بعـد ذلـك بـاحتلال مبـاني الإذاعـة والتلفزيون، وأعلن المذيع لأول مرة –هنا راديو و تلفزيون الجزائر.

لقد كان أول بـث، سـنة 1962[1]، وكـان هـذا البـث تحـديا حقيقيـا، حيـث كـان أغلـب الإطـارات التقنيـة والفنيـة والإداريـة فرنـسيين، وقـدموا استقالاتهم وغادروا هذه المؤسسة الإعلامية، وبالتالي أراد المستعمر أن يـضع الجزائريين أمام الأمر الواقع، وهو الإغلاق الحتمي لهذه المؤسـسة. لكـن هنـاك تحدي وإرادة من طرف القلة القليلة من الكفاءات الجزائرية، الذين كانوا النواة الأولى لتأسيس الإذاعة والتلفزة الوطنيـة، خاصـة بعـد التحـاق الطـاقم الـتقني الإذاعي الذي كان يخاطب الشعب الجزائري من تونس.

لقـد واجهـت الجزائـر مـشاكل حـادة بعـد الاسـتقلال، تتعلـق بجـزأرة مؤسساتها وتغيير أهـدافها وإرسـاء أرضـية لمنطلـق جديـد، مـن شـأنه أن يحقـق تحـولا ذهنيـا عامـا، ومـن أجـل ذلـك كـان لابـد مـن إتبـاع سياسـة تتماشـى وإيديولوجياتها.

[1]- زهير احدادن نفس المرجع ص.ص 107- 111.

فالجزائر كبلد عانى طويلا من الاستعمار، وكأي بلد نام، كان مطالبا آنذاك بإنجاز عملية انتقال واسعة في جميع الميادين، لاسيما ميدان الإعلام بوسائله المختلفة. فأخذت التلفزة في التطور كغيرها من الوسائل، لأنها في المقابل عرفت انتشارا في الدول الغربية، فأدركت أهميتها الاجتماعية وقيمتها الإعلامية الكبيرة، وهذا اعتبر حافزا لمسئولي الإعلام في بلادنا للاهتمام بها هي الأخرى، بالإضافة إلى الواقع الجزائري الموروث والمتميز بوجود نسبة كبيرة من الأمية تقريبا 80% وهذا يعني أن النسبة الكبيرة من السكان لا تحسن القراءة ولا تستطيع مطالعة الصحف، ولا يمكن حينئذ للسلطات الاتصال بها إلا بالوسائل الشفوية ويعني بالدرجة الأولى الإذاعة والتلفزيون ريثما يتيسر التغلب على الأمية.

إن مرحلة ما بعد الاستقلال بكل حيثياتها وظروفها، أرغمت الدولة الجزائرية على القيام بعملية تقتضي تكامل وتعاون مختلف النشاطات، من أجل تنمية الإنسان الجزائري على مستوى كل الجوانب، وخصوصا ما يتعلق بالإعلام الذي يعد سلاح العصر، للوقوف أمام الاستعمار الحديث وصده، ألا وهو الاستعمار الأيديولوجي، الذي يعتبر أخطر وأعمق أثرا من الاستعمار العسكري. وسنتطرق في العنصر الموالي إلى المجهودات التي قامت بها الدولة الجزائرية من أجل إنعاش قطاع الإعلام، وعلى وجه الخصوص التلفزة الوطنية بوصفها أهم المؤسسات الإعلامية وأكثرها انتشارا وتداولا.

ثالثا:- المنجزات المحققة في التلفزيون الجزائري:

انطلاقا من الإيمان الراسخ بقوة وسائل الإعلام وفعاليتها، باشرت الجزائر وعلى غرار البلدان النامية، في إنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية وتسخيرها لخدمة التنمية. وتعد التلفزة أهم وسيلة إعلامية، باعتبارها أهم مؤسسة وطنية للإنتاج الإعلامي. أصبحت ضرورة ملحة، وفرضت وجودها في كل بيت جزائري، حيث إن التلفزيون احتل مكانة هامة في نفوس المواطنين، لأنه النافذة الصغيرة التي يطل منها على العالم، والصورة التي يطل عليها لا تختلف عن تلك الصورة التي ترسمها الكتب والمجلات ؛ وبالتالي فالجزائر أولت اهتماما خاصا لأجهزة الإرسال التلفزيوني، وعمدت إلى إدخال تغيرات عليه وعلى طرائق التسيير والتنظيم في الميدان التقني، كما عملت على توسيع شبكة البث لتعم مناطق البلاد كافة، وعلى هذا الأساس تمت هذه المنجزات على مستويين.

2- 5- 2- 2- ظهور البرابول وانتشاره بالجزائر:

لقد بدأت فكرة دخول البرابول إلى الجزائر عام 1986 "وذلك بإطلاق القمر الصناعي الفرنسي (TELECOM) للاتصالات وبث البرامج التلفزيونية. واستطاعت الجزائر أن تدخل هذا الجهاز الذي انتشر بداية في أوساط الطبقات الاجتماعية من طرف ذوي الدخل العالي، كالتجار الكبار وأصحاب المناصب العليا. وهذا بعد الحصول على رخصة السماح بالاستيراد

من وزارة البريد والمواصلات سنة 1986، وتم تعميمه فيما بعد ليشمل كافة فئات المجتمع.[1]

وفي سياق هذه التغيرات المتعددة الأبعاد والتضمينات، ظهر البث التلفزيوني المباشر مع منتصف الثمانينات ليعبر الحدود الجغرافية بين الدول بالصورة والصوت، وبالتالي أصبحت مفاهيم السيادة الوطنية والهوية الثقافية تكتسي معاني أخرى بالنسبة للبلدان النامية المستقلة، فأهم ما يميز السياق الداخلي الجزائري هو أن ظهور البث التلفزيوني المباشر تصادف مع سياسة الانفتاح وبداية الأزمة الاقتصادية التي تولدت عنها بطالة متزايدة وانخفاض في مستوى المعيشة ومشاكل أخرى.كما يمكن القول أن انتشار البرابول يعود إلى حاجات ثقافية ونفسية وحضارية وإعلامية. وتدل الإحصائيات على أن معظم الدول النامية ومنها الجزائر، لم تتمكن من تمويل تلفزيوناتها بأكثر من 40 % من الإنتاج الوطني، وأن البعض منها يعتمد على البرامج الأجنبية بنسبة تتراوح بين (60 % و80 %)، كما أن نقص الموارد المالية جعل التلفزيون الجزائري غير قادر على تلبية رغبات واحتياجات الجمهور ؛ وبالتالي يدفعه إلى البحث عن بدائل أخرى، خصوصا عندما يقاس ضعف التلفزيون الوطني بغزارة البث المباشر وتنوعه وتطوره، مما يرسخ الاعتقاد

[1] -Lotfi Madani –Modalité et usage de réception télévisée par satillite en Algerie Naqd N° 7/8 PP 31-51.
[2]-Belkacem Mostafaoui –La societe Maghribine sous influence- Naqd N° 7/8 PP 17.

لدى المشاهد بأنه حر في اختيار البرامج التلفزيونية التي يريدها وفي الوقت الذي يشاء. بالإضافة إلى أنه ليست كل البرامج التي تبث عبر الأقمار الصناعية، وتلتقط عن طريق البرابول بالجزائر، تحمل مضامين سياسية وإيديولوجية مغايرة لما هو في مجتمعنا. ونقصد بذلك الأشرطة العلمية والأفلام والمسلسلات التي تتناول عظماء التاريخ وكبار الأدباء والمفكرين، وكذا المناقشات الإعلامية والعلمية والاقتصادية، التي تبرز كلها تحليلات ذات مستوى عالي.

إذن منذ ظهور البث المباشر في الجزائر أصبحت برامجه بصفة عامة وبرامج التلفزيون الجزائري بصفة خاصة محل انشغال اجتماعي وثقافي وأكاديمي بلغ درجة الجدل في بعض الأحيان ويتمحور هذا الجدل حول التأثيرات المحتملة لبرامج هذه الوسيلة الإعلامية. فعندما أصبحت تكنولوجيات البث المباشر جزءا من الممارسات الاعتيادية بالجزائر، أثارت هذه الأخيرة جملة من المخاوف ؛ حيث إن هذه الظاهرة تدفع بالإنتاج الإعلامي، الانشغال هو مسايرة هذه المنجزات في العالم والنهوض بمكونات الثقافة الوطنية، وهذا ما دفع بعض الدول إلى التفكير في تأجير قنوات من الأقمار الصناعية العاملة، لأنها عاجزة عن إنجاز أقمار صناعية خاصة بها.

وكمثال عن ذلك نذكر فرنسا البلد القريب من الجزائر، فمجموعة الأقمار الصناعية لهذا البلد هي: **Canal satellite/Eutelsat/Astra**،

وتستأجر قنواتها عشرات المحطات من فرنسا وغيرها، والجزائر استأجرت قناة من مجموعة القنوات التي يبثها القمر الصناعي- **Eutelsat** - وبالتالي أنشأت أول قناة فضائية وهي **Algerian TV**، وهذا لم يكن إلا محاولة من الدولة للعمل على اللحاق بالركب الإعلامي الذي مازال في تسارع مستمر.

2- 6- ظهور التلفزيون وتطوره في العالم:

إن ظهور التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيري[1]، يعد تجسيدا لخلاصة التقدم السريع الذي أحرزته وسائل الاتصال الجماهيري منذ أمد بعيد، وهذا الظهور جاء نتيجة منطقية لسلسلة من الاختراعات في ميادين الكهرباء والتصوير الضوئي والمواصلات السلكية واللاسلكية ثم الراديو.

ولما كان إرسال الصورة عن بعد يشغل بال الباحثين، فقد توالت الأبحاث والتجارب المختلفة لحل مشكلة التقنيات الكهرومغناطيسية، التي تعتبر مفتاح نقل الصورة بالموجات اللاسلكية، ويمكن تقسيم تاريخ البث التلفزيوني إلى ثلاث مراحل أساسية:

2- 6- 1- مرحلة البداية:

[1]- محمد بهي الدين عرجون- الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية -مرجع سبق ذكره ص ص 321-339.

إن ظهور التلفزيون على هذا الشكل لم يكن فجأة بل كان تدريجيا تضافرت جهود وعوامل كثيرة وفرت له جميع متطلباته .

ولعل أهم الأبحاث والدراسات التي ساعدت على ظهور وتطور التلفزيون هي أعمال العالم الألماني "بول نيبكو " (P.Nipkow) الذي اخترع عام 1884 أسطوانة مثقوبة لتركيب الصور ثم طور الباحث الأمريكي "تشارلز ف.جينكنز (ch.f.Jenkins) مبدأ " نيبكو عام 1890 ، ولكنه لم يتمكن من ترجمة أبحاثه وأفكار غيره من أمثال "ماركوني ، سنلك " حول الإثباتات الميكانيكية على قدرة البث التلفزيوني.

والجدير بالذكر هنا ، أن أول تجارب لإرسال الصور عن بعد كانت انطلاقا من الصور الثابتة في منتصف القرن التاسع عشر ، بينما استعملت " الفوتوغرافيا في سنة 1905 من طرف الألماني "دي كورن"[1] .

إن ظهور تكنولوجيا الإلكترونيات في العشرينات هو الذي مكن من حل المشاكل التي كانت تفرض تطبيق أعمال الباحثين في المجال التلفزيوني. وتعتبر سنة 1927 موعد ظهور التلفزيون في المخابر وتاريخ أول إرسال لبرنامج تلفزيوني على الهواء مباشرة بين ولايتي نيويورك وواشنطن ، وقبل ذلك

[1] - رولان كايرول- الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية -الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية - 1984- ص ص 85،86.

بسنة استطاع العالم الغالي "جون برد " وضع أول تصميم عملي للتلفزيون واستخداماته في عدة دول .

وكان عام 1931 بمثابة نقلة نوعية للتلفزيون عندما اخترع فلاديمير زرويكين أنبوب الصورة خلفا للأسطوانة المثقوبة ، تبعه تطور نوعي في أواخر الأربعينات.

وبحلول منتصف الثلاثينيات انطلقت أبحاث وتجارب كثيرة سمحت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة بخلق مراكز تلفزيونية ترسل باتجاه الجمهور، وفي سنة 1936 ابتدأ المركز البريطاني (لأكسانرا بلاس) بتوزيع ساعتين في اليوم وفي فرنسا انطلقت برامج يومية عام 1936 وفي السنة الموالية وزعت الولايات المتحدة برامج مخصصة للجمهور الكبير. وبعد وقف الحرب بدأ التلفزيون فعليا في الانتشار وذلك بعد 1946.

ويتبين أن المرحلة الأولى لظهور التلفزيون قد تعطلت قرابة العشر سنوات ، نتيجة اندلاع الحرب العالمية الثانية.

2- 6- 2 - مرحلة التقدم السريع:

اتسعت في هذه المرحلة قاعدة التلفزيون الصناعية في بلاد أوروبا وشمال أمريكا ، ثم امتد بعد ذلك نطاق التلفزيون إلى كل بلدان العالم المتقدمة اقتصاديا ؛ بحيث كان مطلع النصف الثاني من القرن العشرين ثورة فعلية لهذا الانتشار فبحلول سنة 1950 كانت خمس (05) دول تمتلك

خدمات تلفزيونية منتظمة وهي: أمريكا، فرنسا، بريطانيا، الاتحاد السوفيتي واليابان. وقفز العدد عام 1955 إلى سبع عشرة (17) دولة، ثم تضاعف هذا العدد مرات حتى عام 1960.

وبالموازاة مع تضاعف الخدمات التلفزيونية، بدأت عملية التطور في نوعية البرامج بالتدريج؛ حيث بدأت بعض الدول في تقديم البرامج التعليمية والترفيهية والرياضية، بعدما كانت تقتصر على الأخبار والتعليقات الصحفية. ويمكن القول بأن هذه المرحلة قد اتسمت بعملية البناء التنظيمي للتلفزيون في الدول الغربية المتقدمة، حيث شكلت أسسه وقواعده من الناحية التقنية ومن ناحية البرمجة أيضا.

1- زد على هذا التطور التقني لصناعة التلفزيون ففي عام 1952 ظهرت الشاشة الملونة في السوق الأمريكي (بعدما اكتشفها الأمريكي جولدمارك في مخابرC.B.S).

2- فامتد نطاقه بتلك القارات الخمس. ولم يعد حكرا على الدول الشمالية المتقدمة حيث أنشئت عدة شبكات جهوية ودولية كانت أهمها :

3- الشبكة الأوروبية المعروفة باسم "أوروفزيون **Eurovision**" والتي تربط بها أكثر من ألف محطة .

4- شبكة أوروبا الشرقية سابقا "إنتروفيزيون **Intervision**" والتي تربط بين محطات سبع دول من أوروبا الشرقية .

5- أما في الشرق الأقصى فقد أنشأ اليابانيون شبكة آسيوية تحت اسم " آسيا فيزيون **Asiavision** " تربط البلاد الواقعة ما بين طوكيو وكاراتشي [1] .

أما في الدول العربية فقد ظهر التلفزيون في بعض البلدان قبل استقلالها ومنها الجزائر التي عرفتها عام 1956 وفي السنة الموالية دخل التلفزيون العراق ثم لبنان عام 1959 ومصر وسوريا عام 1960 والكويت 1961 والمغرب والسودان عام 1962 ثم اليمن والسعودية ، تونس وباقي البلدان العربية الأخرى .

واستنادا إلى بعض البيانات المتوفرة حاليا فقدرات الإرسال التلفزي بين الدول العربية متفاوتة جدا من عدة قنوات وتغطية محلية وجهوية إلى العجز عن تغطية الوطن الواحد تلفزيونيا [2] ولكنها على العموم في تزايد مستمر .

2- 6- 3 - مرحلة الانطلاق الكبرى:

لم تمض عشر سنوات- بعد 1960- حتى أصبحت أكثر من مئة (100) دولة تبث البرامج التلفزيونية[3]. وبعد هذه المرحلة أصبحت التلفزة ظاهرة علمية اتسعت مجالاتها وتعددت مهامها ، وأصبحت الدول المتقدمة والسائرة في طريق النمو تخصص لها أموالا طائلة. ففي سنة 1964 عقد مؤتمر خاص لتطوير التلفزيون في القارة الإفريقية ، وحضر المؤتمر عدد كبير من

---

[1] - ن.ع.جردي -مرجع سبق ذكره- ص 199 .

[2] - راسم محمد الجمال -مرجع سبق ذكره- ص ص 112 ، 113 .

[3] - حسين فوزي النجار -سلسلة اقرأ (الإعلام المعاصر) - 1984- ص 90 .

الخبراء والعلماء، وانتهى المؤتمر بتوصيات مهمة تتلخص في هذا القول: "لكي نصل إلى تفاهم وتعاطف بين الشعوب الإفريقية لابد للهيآت أن تقوم بتنظيم تبادل للبرامج فيما بينها".

فما حدث في الستينات والسبعينات، إذا، يمثل مرحلة الانطلاقة الحقيقية للتلفزيون. ومن ثم ليحتل الصدارة على رأس الوسائل الإعلامية الأخرى. ويمكن القول بأن هذه المرحلة هي العصر الذهبي للتلفزيون.

يمكن القول إن التلفزيون في الفترة من 1946 حتى الآن قد نجح في أن يقطع شوطا كبيرا عن طريق التقدم المستمر. وبهذا أصبح أداة فعالة في المجتمعات، بوصفه وسيلة اتصال هامة بين الشعوب، وبالتالي نال اهتمام الأفراد والمجتمعات، على اختلاف أجناسهم وفئاتهم.ويمكن ملاحظة التطور التاريخي لأهم الأحداث والابتكارات التي شهدها عالم الاتصال وفق الجدول التالي:

الجدول رقم (1)[1]

التطور التاريخي لأهم الأحداث في عالم الاتصال

السنـة	الـــحدث
105	صنع الصينيون الورق و الحبر
400	ظهور أقدم جريدة عالمية وهي تشينغ باو الصينية و التي توقفت عن الصدور في عام 1934
1436	تطريز الطباعة بالحروف المعدنية في أوربا من قبل جوتنبرغ
1539	ظهور أول مطبعة في القسم الغربي من العالم ، في المكسيك
1631	صدور أول صحيفة دورية في أوربا (GAZETTE)
1702	صدور أول صحيفة يومية بالإنجليزية في لندن (DAILY CURRENT)
1731	صدور أول مجلة في شكلها الحديث بلندن (THE GENTLEMANS MAGAZINE)
1798	أول مطبعة عربية بمصر يستقدمها نابليون
1838	صدور الوقائع المصرية بمصر
1839	داجيير يطور عملية التصوير
1844	مورس يرسل أول برقية تلغرافية –طريقة الرمز-

[1] يمكن الرجوع الى التطور الكرونولوجي من خلال- Francis Balle -MEDIAS ET SOCITE- Montchrestien PARIS 94 PP 71-77

1847	صدور المبشر في الجزائر
1853	صنع الورق من لب الشجر
1857	مد أول كابل عبر الأطلسي
1858	صدور حديقة الأخبار في لبنان
1867	أول آلة كاتبة عملية (TYPE WRITER)
1873	أول صحيفة مصورة
1876	- بل –يرسل رسالة هاتفية عبر السلك
1877	- آديسون –يخترع الفونوغراف
1894	اول آلة عرض سينمائية تعرض الأفلام على الجمهور
1890	اخترع –مار كوني- الراديو (البرقية اللاسلكية)
1920	بداية الإذاعة المنتظمة –دترويت بتسبرغ -
1923	الصورة المتلفزة ترسل من نيويورك الى فيلادلفيا
1928	أول إذاعة تلفزية منتظمة -W.G.Y–
1934	بداية الإذاعة في الوطن العربي – مصر-
1954	بداية التلفزيون الملون بصفة منتظمة و على أساس تجاري
1957	أول قمر صناعي يطلقه الاتحاد السوفياتي
1962	أول استعمال لقمر صناعي تيليستارالأمريكي لنقل الشارات التلفزية عبر الفضاء

1980...	ظهرت اختراعات أخرى مثل العاب الفيديو- الفيديو ديسك –الحاسوب المنزلي و تقنيات الاتصال عن بعد، ثم الأجهزة المتعددة الخدمات تلفزة و هاتف و آلة تصوير و كمبيوتر في آن واحد (MULTIMEDIA)....

3- تاريخ البحث في علم الاتصال ونظرياته :

3- 1- تاريخ البحث في الاتصال :

في أواخر الأربعينات و بداية الخمسينات اتسع مجال الاتصال اتساعا كبيرا، حيث بادر عدد من علماء الاجتماع و السلوكيين بتطوير نظريات الاتصال لتتجاوز حتى حدود تخصصاتهم ، فشملت مواضيع مثل أسس الاتصال غير اللفظي من إشارات و غيرها ، الإقناع و التأثير الاجتماعي، طبيعة الاتصال الجماهيري ، السلوك الانتخابي ...

وفي هذه الأعوام نفسها ساهم علماء اللغة و البلاغة في تقدم دراسات الاتصال ببحوثهم حول دور اللغة في النشاط الإنساني، حول الأداء الشفهي، الصوت ، الإلقاء ، المناظرة و المسرح.

لقد كان للتطور الهائل لوسائل الاتصال أثر كبير في تحويل تركيز الدراسات على وسائل خاصة بعينها إلى اهتمام اعم بطبيعة و تأثير هذه الوسائل معا .

و بنهاية الخمسينات ظهرت عدة كتابات مهدت لظهور و جهات نظر في الاتصال أكثر ترابطا و تكاملا ، و في هذه السنوات أسست " الجمعية الوطنية لدراسة الاتصال " و التي تسمى الآن " الرابطة الدولية للاتصال " وكان هدفها توحيد الدراسات في مجال الاتصال. و ذلك بدراسة العلاقة بين البلاغة والخطابة و الوسائل الجماهيرية. ومهدت بذلك للنمو السريع للاتصال ليكون علما مستقلا بذاته . و كان من بين النقلات النوعية التي حدثت في هذه الفترة ، ظهور الدراسات التحليلية لعملية الاتصال في شكل نماذج ومن اشهرها نخص بالذكر تشخيص العالم السياسي – هارود لاسويل – (H. LASSWELL) عام 1948 والذي يتلخص في العبارات التالية : " من يقول ، ماذا ، لمن ، بأي وسيلة و بأي اثر ؟ " ثم تلاه نموذج –شانون ، ويفر –(SHANNON § WEAVER) عام 1949 ، نموذج – شرام عام 1954 ، نموذج وستلي ماكلين (WESTLEY § MACLEAN) عام 1955 و النموذج العام للاتصال لـ : - جورج جربنر– (G . GERBNER) عام 1956 . هذه السنوات يعتبرها البعض سنوات التكامل لما بذل من مجهودات عملية كبيرة لإثراء مختلف المجالات التي لها علاقة بالاتصال . ومن ذلك فان مصطلح الاتصال بقي على العموم مرتبطا بمفهوم البلاغة و الخطابة في المراجع الأساسية .

أما أهم النماذج التي طورت خلال هذه العشرية فتمثلها نماذج كل من "بيرلو" (BERLO) عام 1960 و- نيوكمب- (NEWCOMB) عام 1961 ، و –دانس – (DANCE) عام 1967 ، ونموذج – واتزلاويك ، بيفن و جاكسون – (WATZLAWICK) في نفس السنة.

وتعتبر بداية السبعينات تعميقا للتوسع و التخصص الذين ظهرا في أواخر الستينات حيث تجاوزت الدراسات المواضيع التقليدية لتقتحم مجالات جديدة مثل دراسة التفاعل غير اللفظي و علم المعلومات و نظم الاتصال والاتصال العالمي والاتصال بين الحضارات و الاتصال التعليمي و العلاجي والتنموي والحيواني ... كمجالات مستقلة بالدراسة .

ولعل أكبر دلالة على النمو و التشعب في دراسة الاتصال هي الزيادة الواضحة في نشر الكتب و الدوريات و المجلات العلمية . واستمر هذا النمو في أواخر السبعينات و أوائل الثمانينات بوتيرة منتظمة، مما سمح ببروز اهتمام كبير بتقنيات الاتصال وقد ساعد على ذلك التطور التقني والاختراعات الجديدة مثل الفيديو، الحاسب الآلي الشخصي، الحاسوب، وتقنيات الاتصال عن بعد ... فأصبحت منذئذ طبيعة هذه التقنيات ومداها و السياسة الملائمة لاستعمالها محور اهتمام دراسي للاتصال . وقد بقيت كذلك في الربع الأخير من القرن العشرين.

كما تجدر الإشارة هنا إلى آخر نموذج للاتصال وهو نموذج – روجرز، كنكيد – (ROGERS §KINCAID) عام 1981 و المسمى بالنموذج التلقائي للاتصال ، وهو يرتكز على أهمية الوصول إلى الفهم المشترك والكافي عن الموضوعات الاتصالية عن طريق المعلومات المتبادلة بين المرسل والمستقبل .

هذا فيما يتعلق بتاريخ تطور الاتصال.أما الاتصال كمادة للبحث بالنسبة للعلماء فإنه لم يصبح كذلك إلا منذ وقت قليل نسبيا .

وفيما يلي نقدم ملخصا عاما لتاريخ البحث في الاتصال من خلال أهم المدارس التي تناولته بالدراسة ، وذلك حسب عرض –جوديت لازار[1] – في كتاب (علم الاتصال) .

فبعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر الرغبة في إنشاء علم الاتصال مستقل ، لكن المهتمين و الباحثين في هذا المجال لم يتفقوا على ذلك و انقسموا إلى مدرستين كبيرتين للاتصال :

1 : **المدرسة الامبريقية**:[2] بقيادة لازار سفيلد ، وتتميز على العموم بالمنهج الكمي ، بالوظيفية و بالوضعية[3].

---

[1] -Judith Lazar –La science de la communication PUF-Paris 1992 P 26-33.

[2-3] المرجع نفسه .

2- **المدرسة النقدية:** بقيادة قدماء مدرسة فرانكفورت من أمثال هورهايمر،ادورونو، ماركيوس و فروم ، وتتميز بإعطائها الأولوية في تحليل لمحيط الاجتماعي الذي تتم فيه العملية الاتصالية . ولقد تأثرت هذه المدرسة منذ بدايتها بالفكر الماركسي حيث كان أتباعها يركزون أساسا على المحيط الاجتماعي ، السياسي و الاقتصادي للبلد الذي تمت فيه عملية الاتصال. فكانوا يتساءلون دائما : من يتحكم في الاتصال ؟ لماذا ؟ لفائدة من ؟ هذا بالإضافة إلى رفضهم الجانب المادي للمدرسة الامبريقية التي يعيبون عليها تركيزها على الاتصال و إهمالها للمحيط التاريخي و الثقافي .و هو الأمر – حسب رأيهم – الذي يشوه حقيقة الاتصال .

إذا كان الاتصال يتميز في بدايته بالثنائية ، فإنه بعد الستينات أصبح أكثر تنوعا، وقد انقسم أتباع المدرسة النقدية إلى عدة اتجاهات ، كل واحد منها اهتم بمؤشر واحد دون غيره من المؤشرات ولكن مع التركيز دائما على التغييرات والصراعات ، فنجد منهم :

ا- **أصحاب المقاربة الاقتصادية السياسية:** و الذين اهتموا بدراسة العامل الاقتصادي ومن ثم تركز اهتماماتهم على تحليل بنية أو نسق الملكية لوسائل الاتصال و كيفية عملها كما جعل الضبط الاجتماعي مركزا لاهتماماته .

ب- **أصحاب المقاربة الشمولية:** فهي شبيهة بسابقتها مع فرق وحيد يتمثل في كون أصحاب هذه الأخيرة يعطون الأولوية للعامل الأيديولوجي على

حساب العامل الاقتصادي فهم يهتمون بدراسة مظاهره المختلفة و آليات ديمومته .

ج- **أصحاب المقاربة الثقافية:** والتي تحاول أن تفسر معنى الثقافة الشعبية من خلال مجموع التجربة الثقافية مطالبة بتحليل الكل بدلا من عزل مجال ثقافي بعينه .

د- **أصحاب المقاربة الإمبريالية الثقافية :** والذين يتكلمون عن عملية زرع المنتوجات الاتصالية الغربية في البلدان النامية ، معتبرين بأن القيم الموردة إلى هذه الأخيرة هي القيم الرأسمالية التي تلوث الطبيعة المحلية و تستعمرها ، عن طريق الوسائل المبعوثة .

انقسم أصحاب المدرسة الامبريقية إلى :

1- فئة تبحث في استعمال وسائل الاتصال ، تحت عنوان الاستعمال والرضا وقد انتشر هذا التوجه في السبعينات ، حيث كثف الباحثون مجهوداتهم حول دراسة رضا المستقبل محاولين وضع معاملات الارتباط بين طلبات ودوافع المستقبلين وبين تأثيرات وسائل الاتصال . أما التوجه الجديد لهذه الفئة فقد انصب حول البحث في المشاركة الإيجابية للمستقبلين في بناء معاني خاصة بالوسائل التي يستقبلها و ذلك في إطار المقاربة النفسية الاجتماعية أو التفاعلية مع الديناميكية الثقافية للمحيط الذي ينتمي إليه المستقبل للرسالة الاتصالية .

2- فئة تهتم بنشر الابتكارات و هي تنطلق من الدور الحاسم الذي يلعبه التأثير الشخصي في عملية النشر. ومن ثم تحاول تحليل مجموع عمليات الابتكارات على مراحل و على المعرفة الامبريقية للعوامل المساعدة على تبني الابتكار المدروس من طرف الأشخاص .

3- فئة تهتم بالجانب الثقافي و التي تربط بين محتوى الاتصال و تأثيراته المحتملة على الفرد و المجتمع . فهي من منظور وظيفي تمكن من معالجة محتوى و تأثيرات وسائل الاتصال .

4- فئة تركز على التبعية و التي تحاول أن تحدد تحت أي شرط يصبح فيه الإفراد تابعين لوسائل الاتصال ، مبرزين في ذلك العلاقة المتزايدة و المتبادلة بين نظام الوسائل و أنظمة اجتماعية أخرى ، إن هذا التفاعل يؤثر على محتوى وسائل الاتصال ومن خلالها على تبعية المستقبل لها . وهم يرون بأن الأفراد الأكثر تبعية لهذه الوسائل هم الأكثر تعرضا لتأثيراتها في معتقداتهم وتصوراتهم عموما .

3- أصحاب الحتمية التكنولوجية :[1]

تتميز كلية عن التوجهات السابقة ، فهي نظرية جديدة تقترح توجها لا يلتقي مع أي من المدرستين الكبيرتين المذكورتين آنفا . ترجع أصول هذه النظرية إلى أعمال --هارولد اينيس --و- مارشال ماكلوهان -- اللذان أعطيا

[1] -Judith Lazar –La science de la communication PUF-Paris 1992 P 29.

في أعمالهما دورا رئيسيا للوسائل في عملية الاتصال بل و حتى في تنظيم المجتمع ، لقد ركزا في تحليلهما على التكنولوجيا المستعملة في وسيلة الاتصال المسيطرة على كل مرحلة تاريخية معينة . حيث يرى أصحاب هذه النظرية بان المواصفات الأساسية لوسيلة الاتصال المسيطرة بإمكانها أن تدلنا على كيفية تنظيم المعلومات.

4- نظرية هيكلة الفكرة(SETTING AGENDA) :

يرى أصحاب هذه النظرية بأن هناك علاقة بين النظام التمرتبي (HIERARCHIQUE) للمعنى المعطى لنفس المشاكل من طرف المتلقي للعملية الاتصالية ، فالوسائل إذا تحدد جدولة الأحداث و تمرتب المشاكل .
تقوم هذه النظرية في الأساس على فرضية مؤداها أن الوظيفة الأساسية لوسائل الاتصال لا تكمن في قول المتلقي لها –كيف يجب أن يفكر – بل – فيما يجب أن يفكر – فارضة اختيارات معينة و محدودة.

5- نظرية حلزون الصمت :[1]

من روادها –نوال نيومان- (NOELLE NEUMANN) ، ترى أن أغلبية الأفراد خوفا من أن يلفظوا أو يصبحوا غير شعبيين ، يحاولون تشخيص آراء الآخرين و إتباع رأي الأغلبية . كما أن لوسائل الاتصال دورا بارزا في هذه العملية لأنها تعتبر أهم المصادر المرجعية للإعلام .

[1] -Judith Lazar –La science de la communication PUF-Paris 1992 P 121.

3- 2- النظريات الإساسية في الإعلام والاتصال

تعد نظريات الإعلام والاتصال حقلا خصبا للأبحاث والتجارب العلمية حيث نادى المتخصصون بضرورة حسن فهم النظريات وحسن استخدامها .

لذلك كانت دراسة النظريات التي تعرضت لتفسير العمليات الاتصالية على جانب عظيم من الأهمية لتحسين عملية الاتصال وذلك مهما تباينت هذه التفسيرات أو نظريات ، ومن الضروري أن نشير إلى أن فهم النظريات المتعلقة بالعملية الاتصالية يتوقف على فهم الفعل الاتصالي والعلاقات الاتصالية باعتبار أن النظريات الاعلامية تهتم بتفسير وتحديد اتجاه الفعل الاتصالي والعلاقات الاتصالية. في هذا المقام نشير إلى ما حدده ماكيول أنه من الصعوبة اختيار نموذج فردي مناسب أو اقتصادي ليمثل أو يصور عملية الاتصال وهذه الصعوبة تنشأ أولا من التنوع الكبير للأحداث التي يجب أن تأخذ في الاعتبار. وثانيا من الحقيقة القائلة بأن الأحداث الاتصالية إلى حد كبير تكون مؤلفة من مفاهيم وأفكار متباينة ومختلفة .

وسنتناول في هذا الجزء من الدراسة بعض النظريات التي تعرضت لتفسير عملية الاتصال والإعلام وكيف يمكن الاستفادة منها في تحقيق اتصالات فعالة بين أفراد المجتمع .

3- 2- 1 نظريات الإعلام والاتصال ذات التأثير المباشر :

أولا : نظريات التعليم :

تعد نظريات التعلم من نظريات علم النفس إلا أن بها اتصالا وثيقا بنظريات الاتصال المباشر حيث يقدم لنا علم النفس التعليمي عددا من الأنواع المختلفة من الميكانيزمات والعمليات الخاصة للتعلم الإنساني من خلال ذلك يمكن أن يتوفر لدينا أحد الأشكال الأساسية من نظريات الاتصال.

وتؤكد هذه النظريات على أن العلاقة بين المثير والاستجابة توفر لنا المناخ الأساسي لعملية الاتصال والقائم على أساس المذهب الارتباطي أو الترابطي. من خلال وصف نيوكمب للأفعال الاتصالية والذي يتخلص في أن هذه الأفعال يمكن أن تحدد على أنها نتائج ومتغيرات للعلاقات بين الكائن الحي وبين البيئة سواء أكانت هذه العلاقة فعلية أو متوقعة أو الاثنين معا وقد يتضح لنا أن الاتصال له أسبابه كما أن له آثاره المترتبة عنه أو تأثيراته. عملية الاتصال على هذا النحو أساسا عملية رد فعل حيث أن الأفعال الاتصالية التي تبدو بشكل واضح أنها تعبيرية يمكن النظر إليها على أنها ردود أفعال.

وعليه نصل إلى أن الاتصال من منظور نظريات التعلم ، إما أن يكون استجابة لمثير سابق (تغذية عكسية) أو عبارة عن مجموعة من المعطيات التي تشكل فقط بداية لسلسلة جديدة من الرابطة بين المثير والاستجابة ، وتحدد نظريات التعلم كما يلي :

ا)- نظرية ثورانديك للتعلم :

ساد تفسير ثورانديك لعملية التعلم أكثر من نصف قرن في أمريكا ، وظلت هذه النظرية في طبيعة النظريات الأخرى ونقطة البداية لما تلاها من النظريات في هذا المجال .«ويرى ثورانديك أن التعلم بالمحاولة والخطأ أو الاختيار هو أسرع أشكال التعلم عند الإنسان والحيوان »[1] .

وقد حرص ثورانديك وأتباعه على استخدام الحاجات الذاتية الفسيولوجية باعتبارها عاملا أساسيا في عملية الفهم .كما يؤكد ثورانديك أن تعلم الإنسان يرجع أساسا أربعة قوانين هي :

1- قانون الأثر
2- قانون الاستعداد والتأهب : بين الظروف التي يكون فيها الإنسان راضيا أو ساخطا ، مرحبا أو رافضا .
3- قانون التكرار
4- قانون التبعية : مؤداه أن الفرد أقدر على تعلم الأشياء التي ترتبط ببعضها مع البعض الآخر

ب)- نظرية التعلم لـ:جثري :

يختلف جثري **Guthrie** عن ما سبقه من الباحثين، حيث يعتبر بافلوف **PAVLOV** تجربة صناعية إلى درجة كبيرة، وهو لا يذكر أنها مفيدة، ولكنها

[1] محمد محمد عمر الطنوبي : نظريات الإتصال –مكتبة الاشعاع ط1 الاسكندرية 2001 ص 157 .

تحتاج إلى تفسير وتعديل ، كما أنه لا يوافق على تفسير التعلم في ضوء مقاومة المسافات البيئية أو على أساس وجود مجالات كهربائية في العقل ، كذلك يرى أنه لا ضرورة لوضع قوانين للتعلم لأن هذه المواقف فريدة من نوعها ويقترح معالجة موضوع التعلم في المدرسة على أساس المثير والاستجابة وتقوية الرباط الشرطي بطريقة تجريبية .

ويرى **Guthrie** أن للتعلم مظهرا واحدا يعرفه كل انسان يتجسد في مبدأ الترابط وهو القانون الوحيد الذي يفسر كل مظهر من مظاهر التعلم وقد ذكره في الكلمات القليلة التالية :« إذا نشط أي منبه وقت حدوث استجابة فإن تكرار حدوث المنبه يؤدي إلى حدوث تلك الاستجابة » .[1]

وخلاصة القول أن قانون الترابط الذي فسر به **Guthrie** التعلم بأنواعه يعتبر حسب رأيه جامعا مانعا. ومنه نستخلص أن التكرار لا يعنى الرباط ومع ذلك فالتكرار في نظره ضروري لتكامل العادات. إذ تتكون كل منها من عدد من الروابط الشرطية اللازمة ، كما أن تعلم المهارة يحتاج في مرات عديدة إلى اكتساب رباط شرطي أو سلسلة من الروابط الشرطية التي تربط حركات معينة لمواقف بعينها وتكامل هذا العدد الضخم من الروابط الشرطية يحتاج إلى مرات عديدة من المرات والتكرار ، ويعتمد كل ذلك على اتصال فعال .

ج)- نظرية الجشتالت :

ظهرت هذه النظرية في أوائل القرن 20 واتجهت نحو نقد علم النفس السلوكي والشرطي ، وقد اهتمت مدرسة الجشتالت بتنظيم الموقف أو المجال وقت حدوث السلوك ويعتبر أثر ذلك التنظيم أهم من الخبرات السابقة وقد ساهم الجشتالتيون بتنصيب وافر في دراسة وفهم طبيعة عملية التعلم عن طريق البصيرة .

وقد احتل الادراك (كمؤشر هام) المرتبة الأولى من أبحاث الجشتالتين حيث كانت عدة مواقف تعليمية في تجاربهم مواقف إدراك واضح أحدثت الاستبصار بعد إدراك الموقف كوحدة متكاملة .

وهناك مجموعة من المبادئ والقوانين التي تساعد على التنظيم اللازم لحدوث الاستبصار وهي :

- ❖ **مبدأ التنظيم** : (الانضاج) مؤداه أن كل موقف من مواقف الحياة يحتوي على قوى وعناصر مختلفة تتفاعل مع بعضها البعض بحسب نظرية ديناميكية الموقف.
- ❖ **قانون التشابه** : مؤداه أن الأشكال المتشابهة ، تمثل إلى أن تتجمع في وحدة إدراكية متكاملة .
- ❖ **قانون التقارب** : مؤداه أن التقارب مكانيا أو زمانيا يساعد على الإدراك والتذكير.

د)- نظرية المجال :

تعد فكرة المجال وخواصه الزاوية في نظرية المجال وتفسيرها للتعلم فالأحداث مهما تنوعت تقع في مجال هو بمثابة المسرح للاعبي التمثيلية فالحوادث والمعارف تحدث دائما في مجال أو حقل متسع أو ضيق ، صغير أو كبير له خصائص معينة .

وتهتم مدرسة المجال سلوك الأفراد على أساس تكرار حدوثه وانتظامه. فإذا لم يتكرر بصورة معينة أهملت دراسته ولم توجه إليه العناية. وقد استخدمت مدرسة المجال طريقة المعالجة الديناميكية للسلوك وذكروا أن كل مظهر من مظاهر سلوك الفرد يعد نتيجة لتفاعل عدة قوى مختلفة ، كما ينظر المجاليون إلى الموقف ككل أو كوحدة واحدة عكس الشرطيين الذين يفتتون الحياة العقلية إلى ذرات فيختارون أحد عناصر الموقف ويخصصونه بالدراسة والمعالجة .

وفي النهاية تؤكد نظرية المجال على ضرورة استخدام الإحصاء حتى تكون الدراسة معتمدة على لغة علمية دقيقة جدا فقد مثلت نظرية المجال مواقف السيكولوجيا تمثيلا رياضيا .

وهناك العديد من القوى المختلفة التي تتحكم في تشكيل الموقف التعليمي وتنظيمه ومن هذه القوى :[1]

---

[1]- محمد محمد عمر الطنوبي –المرجع سبق ذكره ص 174 .

- عامل المعنى والتكرار .
- مستوى الطموح للفرد .
- دوافع الفرد .
- القدرة العقلية .
- البيئة .
- الخبرة السابقة .
- عامل النضج .

إن النظريات الأربعة السابقة تؤكد على دور سلوك الفرد وأهميته في العملية الاتصالية وتندرج هذه النظريات في قالب واحد يطلق عليه ما يسمى بالنظريات السلوكية التي سادت في علم النفس ، لما يزيد عن 30 عاما. وتأثرت هذه الاتجاهات بتجارب جون واسطن الذي أجرى تجاربه على الحيوانات. وانتهى إلى أن الفعل الإنساني غالبا ما يكون استجابة لمثير خارجي. وأصبحت هذه النظرية معروفة بالسلوكية **Behaviourisin** وترتبط هذه النظرية في بداياتها ، لما انتهت إليه الأفكار الخاصة والارتقاء عند داروين ، وكانت هذه الأفكار هي أساس عملية التعلم واكتساب الخبرات عند السلوكيين ومنها جاءت المصطلحات الخاصة بالتعلم الشرطي.

وبعدها جاءت تجارب سكينر **B.F.SKiner** الخاصة بزيادة تأثير الأفعال الشرطية من خلال تعزيز الاستجابات وبالتالي زيادة فعالية عملية التعليم . ثم

جاءت تجارب هال **Hull** التي اهتمت بتأثير العادة **Habit** في عملية التعليم والتي تشكل من خلال عملية التعزيز بجانب اهتمامه بالحوافز **Drives** التي تشمل حاجات الكائن الحي .

وقد خضعت هذه النظريات بعد ذلك التطور من خلال جهود علماء النفس وعلم النفس الاجتماعي وأصبحت تسمى بنظريات المثير والاستجابة أو نظريات التعلم ، تهتم جميعها بالسلوك الفردي في علاقته بالمثيرات الخارجية.

ويهتم أصحاب نظريات التعلم **Learning** بتحليل السلوك في إطار ما تعلمه الفرد في الماضي من خلال ميكانيزمات عملية التعلم. والفرد في نظريات التعلم يستجيب أوتوماتيكيا بإحدى الطرق التالية :

- ❖ تداعي المعاني : **Association** فالفرد يستجيب شرطيا لمثير متزامن مع آخر يستدعي الاستجابة السلوكية مثل : تجربة بافلوف .
- ❖ التعزيز أو التدعيم : **Renforcement** فالفرد يتعلم الاستجابة بطريقة معينة لمنبه خارجي يبعث على الشعور بالسعادة .
- ❖ المحاكاة : **Imitation** فالأفراد غالبا ما يكتسبون الكثير من العادات السلوكية من خلال ملاحظة المركز أو الشخصيات القائمة بالأدوار.

وقد أثرت هذه النظريات على رؤية الباحثين والخبراء في مجال الإعلام والدعاية للفرد في جمهور وسائل الإعلام بوصفه فردا منعزلا يتأثر أليا بما يوجه إليه من رسائل إعلامية بطريقة من طرق التعلم السابق الذكر .

ثانيا: مظاهر التأثر بهذه النظريات في مجال الاستجابة للرسائل الإعلامية :

1- تطبيق نظريات التعلم التفكيري بشكل موسع في الأعمال الدعائية خلال الفترة ما بين الحربين ، وكانت وسائل الإعلام في هذه الفترة هي الوسائل المتاحة للاتصال بأفراد جمهور وسائل الإعلام لما كانوا يوصفون به من صفات وخصائص معينة .

2- الاعتقاد البالغ في قوة تأثير وسائل الإعلام وقدرتها على تشكيل الرأي العام والتأثير في أفكار الجماهير ، وكانت تطبيقات الدعاية أحد العوامل الهامة في تعقيد هذا الاعتقاد ، فعندما تطلق وسائل الإعلام رسائلها ، يتلقاها مباشرة الجمهور على الجانب الآخر ، ومن هنا ظهرت وسائل الإعلام غير المحدودة ويطلق عليها نظرية الطلقة .

وتقوم هذه النظرية على أساس أن الرسائل الإعلامية هي مثيرات تصدرها وسائل الإعلام ، وقد سادت هذه النظرية في الدراسات الإعلامية لفترة طويلة وتقوم على الأسس النظرية السابقة الذكر .

3 - تأثرت بهذه النظريات ، نظريات علم النفس ونظريات علم الاجتماع والنظريات والدراسات الإعلامية ، التي تمت في هذه الفترة على استجابات الجمهور إلى وسائل الإعلام ومفرداتها .

وقد ساهمت هذه النظريات في التركيز على حاجة الوسائل الإعلامية إلى التعرف بدقة على خصائص جمهورها للوصول بالرسالة الإعلامية إلى أكبر حجم في فئة معينة من الفئات التي تصنف في إطارها خصائص هذا الجمهور .

وخلاصة القول إن نظريات التعلم قد وضعت بصماتها على الاتجاهات العلمية لنظريات الإعلام ووجدت صدى بالغا في الدراسات والبحوث العلمية بناء على المعطيات التي قدمها علم النفس. ومازالت تستخدم في مواقع أخرى لتفسير العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام. وتأثيرات هذه الوسائل على أفراد الجمهور من خلال تأثير الخبرات الموروثة والمكتسبة التي تدخل في تشكيل الفروق الفردية بين فئات الجمهور .

3- 2- 2 نظريات الإعلام والاتصال ذات التأثير غير المباشر :

إن الأهمية والمغزى الحقيقي لوسائل الإعلام في المجتمع لا يكمن في تأثيرها الفوري على جماهير معينة ، فأهمية وسائل الإعلام هي في تأثيرها غير المباشر والحاذق على المدى الطويل بالنسبة للثقافة الإنسانية وتأثيرها على عملية تنظيم الحياة الاجتماعية

ومن المحتمل أن تكون الأشكال النظرية التي تم شرحها من قبل فيها نوعا من القصور في فهم التأثيرات ذات المدى البعيد لوسائل الإعلام فالنظريات هذه تركز على النتائج الحالية التي تقع فورا ومن بين النظريات المعاصرة نجد : نظرية الأنساق الاجتماعية (التركيب الاجتماعي) التي عرفت تطورا ملحوظا مع تطور المعرفة ونشوء فروع العلوم المستقلة بذاتها .وقد توجهت الدراسات الحديثة إلى تحديد الكيفية التي يبني الأفراد معانيهم الذاتية الداخلية عن الأشياء وعن الأحداث في الواقع وكيف تمكن هذه المعرفة البشر من الاتصال ببعضهم البعض بطرق تختلف عن تلك التي تتصل بها المخلوقات الأخرى وكيف تشكل الحقيقة كلا من السلوك الفردي والاجتماعي .

أولا : نظرية النسق الإجتماعي :

تقدم هذه النظرية منظورا اجتماعيا للأفعال الاتصالية التي تكون أكثر قربا للتفسيرات السيكولوجية منها إلى الآلية التي قدمت من قبل . فهذه النظرية تنظر إلى أن الفرد موجه نحو هدف معين في أي عمل أو سلوك يصدر عنه

بالإضافة إلى موجهات الأعراف و القيم و القيود من بيئته الاجتماعية. و هذا يعني بواسطة ثقافته التي يتعلمها من خلال تفاعله مع الأعضاء الآخرين من مجتمعه . و هذه النظرية تقدم منظورا اجتماعيا للأفعال الاتصالية . فحينما يوجد تفاعل اجتماعي فإن الرموز و الإشارات تكتسب معاني عامة أو شائعة و يصبح لها دور هام كوسائل اتصال بين الفاعلين. و حينما ينشأ أو يظهر نسق للرموز التي كانت تتوسط الاتصال. ففي هذه الحالة يمكننا التحدث عن بدايات الثقافة التي تصبح جزءا من نسق الفعل للفاعلين . كما أن أنساق الاتصال تنشأ عن عملية التفاعل مع الأهداف الاجتماعية و أن الأشكال المتطورة للسلوك الاجتماعي تعتمد بدورها على عملية الاتصال.

و العلاقة التي أقامها بارسونز بين وسائل الاتصال و الضبط الاجتماعي هي كون النسق الرمزي للمعاني يعتبر عنصرا من عناصر النظام الذي يفرض كما هو على الموقف الواقعي . و بالتالي فإن النتيجة النهائية لنظرية النسق الاجتماعي ككل يبدو أنها توجه اهتمامها نحو المحافظة على النسق و على توازنه .

ثانيا: نظرية التفاعلية الرمزية :

ظهرت هذه النظرية في أعمال جورج هربرت ميد **MEAD** ، تهتم هذه النظرية بعملية التفاعل الاجتماعي القائم على الرموز و تركز بشكل مباشر

على الاتصال، ومن خلال هذا المدخل نجد بلومر يضفي شكلا جوهريا لهذه النظرية من خلال نقطتين أساسيتين :

1- **أولية الاتصال** : تفترض أن الذوات تعتبر سابقة على عملية الاتصال، بحيث يمكن شرح الاتصال من خلال هذه العملية، و على العكس من ذلك فإن الذوات قد تتسبب في حدوث العملية الاجتماعية، وأيضا تتسبب في الاتصال".

2- **انعكاسية الفعل الاتصالي**: و هي قدرة الإنسان على التحدث مع نفسه من وجهة نظر الآخرين ، و في نتيجتها أو حصيلتها فإن الشخص يعطي هذه المحادثة شكلا و يصيغها المجتمع بدلا من أن يقوم المجتمع بتشكيلها وهكذا فإن الاتصال يعتبر عملية خلاقة بمعنى أن نتيجته هي نفسها نتاج للفعل نفسه الذي يعد فريدا من نوعه و لا يمكن التنبؤ به"[1].

ومن هذا المنطلق نجد أن نظرية التفاعل الرمزي تهتم بالطبيعة اللغة والرموز **Signes** في شرح عملية الاتصال في إطارها الاجتماعي، حيث تتحدد الاستجابات من خلال نظام الرموز والمعاني الذي يبينه الفرد للأشياء والأشخاص والمواقف، وبالتالي نجد أن الأفراد يرسمون صورا للواقع من

[1] - هناء حافظ بدوي - الإتصال بين النظرية و التطبيق - المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية ، مصر - 2003 - 114.

خلال نظام خاص للرموز والمعاني يكتسبه الفرد في العمليات الاتصالية المتعددة خلال حياته.

ومن بين الجهود الملحوظة من باحثي الاتصال في تطبيق فكرة التفاعلية الرمزية كتاب الاتصال والسلوك الاجتماعي : منظور التفاعل الرمزي لكل من دون فوس ودينيس ألكسندر الذين أقاموا تحليلهم على أساس تعريف الاتصال بأنه السلوك الرمزي الناتج عن المشاركة في المعاني والقيم لمستويات مختلفة بين الناس ، وقدموا ثلاثة فروض أساسية عن الاتصال والتفاعل الرمزي هي :[1]

1) تفسيرات الناس للبيئة تعتمد على الاتصال .
2) يتأثر الاتصال ويؤثر في تحديد الذات والدور .
3) يشمل الاتصال عمليات التفاعل معقدة ، فهو يشمل الفعل والاعتماد المتبادل والتأثير المتبادل بالإضافة إلى العوامل المرتبطة بالموقف .

ولقد أصبحت وسائل الإعلام الوسيلة الأساسية في تقديم المعاني والتفسيرات إلى الناس ، حيث يبنون المعاني أو الصور عن الحقائق الاجتماعية أو المادية التي لم يحسوا بها من خلال التعرض إلى وسائل الإعلام وبالتالي فسلوكهم الذاتي واتجاهاتهم تحددها هذه المعاني والتصورات التي

[1] محمد عبد الحميد مرجع سبق ذكره ص 251 .

ساهمت وسائل الإعلام في تقويمها ورسمها حيث تعتبر المصدر الأساسي للمعرفة والمعلومات الخاصة بالحقائق والأشياء

ثالثا نظرية التثقيف :

تعتبر من أحدث النظريات التي تهتم بتركيب المعاني والبحث في تأثير الواقع كما تقدمه وسائل الاعلام قدم هذه النظرية **جورج جيربند** وشركائه وقد نبعت هذه النظرية من قلق الجمهور الأمريكي على المستوى القومي من تأثير العنف الذي تميزت به الستينات والسبعينات وأصبحت دراسة العنف في التلفزيون مستحوذة على تفكير الأمريكيين. وكان ذلك نتيجة لمحاولتين فيدراليتين لفهم المشاكل فقد أصدر الرئيس الراحل جوستن قرارا بتعيين لجنة لدراسة أسباب العنف والعمل على منعه [1] ، وقد توصلت الدراسة إلى أن التلفزيون الأمريكي يعرض كما كبيرا من العنف ، وفي السنوات الأخيرة ، صور جريند وآخرون هيكلا نظريا وإستراتيجية تجريبية لدراسة تأثير العنف في التلفزيون على معتقدات الناس واتسع نطاق اهتمامهم ليشمل إلى جانب العنف أشكالا أخرى من السلوك التي يعرضها التلفزيون. وكانت استنتاجاتهم هامة للغاية وخصوصا تلك التي تقول أن ما يمثله التلفزيون من أشكال يؤثر في سلوك الفرد وذلك عن طريق تشكيل معتقدات الناس

[1]- ملفين لديفلير ، ساندرابول –روكيتش- نظريات وسائل الإعلام- الدار الدولية للإستثمارات الثقافية – مصر –ترجمة عبد الرؤوف –ط4- 2002- ص 363.

وبالرغم من الجدل الذي أثير حول هذه النظرية وبغض النظر عما إذا كانت أو لم تكن أكثر من اختراع سابق أعيد تصويره تحت بطاقة فإن لتحليل التثقيفي يعتبر جهدا واعدا لمتابعة السؤال حول كيفية حصولنا على المعرفة وكيف تساهم هذه المعرفة في إرشادنا للسلوك الذي يتبعه.

3- 2- 3- نظريات استخدام وسائل الإعلام والمعلومات:

تستند هذه النظريات على مجموعة من المعلومات والوسائل يقوم الفرد باستخدامها في أي رسالة إعلامية ووفقا لما جاء به مؤسس هذه النظريات ، فإن النظرية البارزة التي أدت إلى نظرية وسائل الإعلام والمعلومات تمثلت في إدراك الحقيقة القائلة بأن عملية الاتصال هي عملية انتقائية أو عملية اختيار .

وتقوم هذه النظريات بتحويل المعلومات الغامضة إلى أسئلة وتشكيل القياس الكمي الضروري الذي يمكن من استخدام هذه النظرية في تحليل عملية الاتصال وعليه يمكن توضيح هذه النظريات في نظريتين أساسيتين هما :

1- نظريات التوازن المعرفي واستخدام وسائل الإعلام :

تأتي محاولتنا لتوظيف نظريات التوازن المعرفي لوصف واستخدم الفرد لوسائل الإعلام ونظرا لأهمية هذه النظريات في تغيير الاتجاهات وتشكيلها على أساس المبادئ المعروفة في الاتزان.

وتحاول هذه النظريات الوصول إلى اختبار الفروض التالية :

1ـ إن جمهور وسائل الإعلام هو جمهور نشط ويتميز نشاطه بالفاعلية التي تعني دوره في إسقاط المعاني على ما يتلقاه من رموز اتصالية في وسائل الإعلام .

2 ـ تعتبر العلاقة بين البناء المعرفي للفرد وبناء الاتجاهات والسلوك جوهر النظريات المعرفية، سواء تلك التي تبحث في التوازن أو التنافر المعرفي لدى الفرد في إطار عمليات الاتصال الذاتي وتقرير السلوك.

ويحدد الفرد اتجاهه نحو وسائل الإعلام من خلال الصورة الذهنية التي يرسمها الفرد في مخزونه المعرفي عن هذه الوسائل نتيجة الخبرة المتراكمة عن اقترابه من هذه الوسائل وعلاقتها بالمدركات التي يختزنها الفرد في إطار خبرته.

3 ـ يؤثر الإدراك المعرفي على العلاقات بين الأشخاص والأشياء في إطار اتجاه الفرد نحوهما ، ويؤثر هذا الإدراك في قيام حالة من التوازن ، تؤثر في دعم الاتجاه أو تغيره .

وإذا ما افترضنا أن استخدام الفرد لوسائل الإعلام ومحتواها هو أحد البدائل السلوكية التي تجسد اتجاه الفرد نحو هذه الوسائل ، وأن الفرد يحدد اتجاهه نحو أي منهما من خلال إدراكه المعرفي ،كذلك نحو العلاقة بين القائم بالاتصال والمحتوى ، إذا ما افترضنا ذلك فإنه يمكن تطبيق الفروض المذكورة سابقا في إطار عملية استخدام الفرد لوسائل الإعلام ومحتواها .

2- نظرية الاستخدامات والاشباعات :

في إطار الدراسات الخاصة باستخدام وسائل الإعلام والتعرض لها من مختلف الفئات ، ركزت هذه الدراسات على الأسباب الخاصة بهذا التعرض في محاولة للربط بين هذه الأسباب والاستخدام ، مع تصنيف الاستخدام في فئات تشير إلى شدته أو كثافته .

وتم صياغة هذه الأسباب في عدة إطارات كان أهمها إطار الدوافع النفسية التي تحرك الفرد لتلبية حاجات معينة في وقت معين .

وأصبحت رغبة الفرد في إشباع حاجات معينة من التعرض لوسائل الإعلام هي الإطار العام للعلاقة بين تعرض الفرد لوسائل الإعلام ومحتواها ومدى ما يحققه هذا التعرض من إشباع للحاجات المتعددة وتلبيته .

ولأن هذا المدخل يقوم أساسا على تصور الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام ومحتواها من جانب ، ودوافع الفرد من التعرض إليها من جانب آخر. فإن كل البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال تقوم على اختبار العلاقة بين الوظائف التي تتم صياغتها في إطار الدوافع والحاجات وبين تعرض الفرد وكثافة هذا التعرض بناء على إطار نظري أساسه التحليل الوظيفي.